الأيمان

رواية تاريخية مصرية

تعريب

صالح جودت

حقوق الطبع محفوظة للمعرب

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر
١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م

LA FOI PAR BRIEUX

EUGÈNE BRIEUX

أوجين بريو

« العضو بالأكاديمية الفرنساوية ومؤلف الرواية »

ولد أوجين بريو بباريس سنة ١٨٥٨ واشتغل بالصحافة وتأليف الروايات التمثيلية وبدأت شهرته فيها برواية « بلانشيت : Blanchette » التي مُثّلت سنة ١٨٩٢ وأُعيد تمثيلها سنة ١٩٠٣ وفيها أظهر المؤلف خطر التعليم اذا لم يتناسب مع أحوال النفوس والبيئات . وظهر فضله فيما وضع بعد من الروايات ذات المرامي الفلسفية والاجتماعيـة ولا سيما رواية « الرداء الأحمر La Robe Rouge » التي مثّلت سنة ١٩٠٠ وانحى فيها باللائمة على القضاة الذين يأخذهم الطمع في الارتقـاء فلا ينتصرون للأبرياء . ثم روايتي « المُصابون : Les Avariés » و « النائبات : Les Remplaçantes » اللتين مثّلتا سنة ١٩٠١ وفيهما استصرخ بالجمهور لحماية الأطفال الرضَّع من شرّ المراضع المرضى والمهملات . ولبريو غير ذلك من القطع التمثيلية البديعة التي تُعد قطعة « الإيمان : La Foi » تاجها المرصع . وستقرأ عنها شيئاً كثيراً في المقدمة . وقد قدَّرت الأكاديمية الفرنساوية فضل الرجل فانتخبتهُ في سنة ١٩١٠ عضواً فيها واستقبله المركيز ده سيجور بخطاب أنيق حسب العادة المتبعة في ذلك المجمع العلمي الكبير عدَّد فيهِ ما له من الفضل على العلم والأدب ما

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين وسائر النبيين

وبعد : فقد خلق الإنسان ضعيفاً ، وغلبه على أمره القدر ، بعد أن كادت له قوى الطبيعة وكاد لها . وهو في كل طور من أطوار حياته يجاهد ويكافح لاتقاء شرّ تخبئهُ له الأقدار علم بهِ أم لم يعلم ، أو لنوال خير لا يدري أيصيبهُ أم تخيب دونهُ أمانيهِ . حياة كلها كدّ . شعر المرء في خلالها شعوراً طبيعياً بأن هنالك قوة مسيطرة على كل القوى ، ويداً مدبّرة لكل الأمور ، وإرادة فوق كل أرادة ، فتوجهت لتلك القوّة نفسهُ راجية أو مسترحمة أو مستغيثة . وهكذا عبد المرء من قديم الزمن ما رجا ، استدراراً للخير ، وما خشى ، دفعاً للشرّ

هذا الشعور الفطري وتلك الحاجة الطبيعية كانتا أساس الايمان قبل أن تأتي به الرسل ويُوحى بهِ الى الأنبياء

قال جوستاف لبون في كتابه حقائق الزمن الحاضر[1] « ضعف الإنسان عن الحياة بلا يقين ، ففضّل المعتقدات وان ضعف أساسها عن الزندقة وان وضح برهانها »

ذلك ما تجلّى لبريو ، اذ كان ذات يوم في معبد من المعابد ، فألفى المصلّين قائمين يضرعون لتمثال معبودهم ، يلتمسون منهُ قضاء الحاجات . وكان من بينهم مرضى وذوو عاهات ، وبؤساء تعلّقت آمالهم بربهم تعلّقاً اتصلت بهِ سعادتهم . فتأثرت نفسهُ وجال في خاطره أنهُ لو استطاع أن يرشد هذا الجمع الى كذب ما يعتقد ، والى أن معبوده لا يسمع ولا يعي ، لما فعل حرصاً على هذا الأمل أن يزول ، وهذا الخيال الكريم أن يتبدد . ومن ثمّ خطر لهُ أن يضع رواية في هذا الموضوع فاختار لها مصر الفرعونية

(١) عرّبه المرحوم أحمد فتحي زغلول باشا وسماه (جوامع الكلم) وسيظهر قريباً في عالم الآداب

لما اشتهر به ساكنوها قديماً من التمسك بمعتقداتهم وتقديس معبوداتهم وتعليق آمالهم على حياة أخرى بها ثواب وعقاب . فقدم مصر واستعان بمسيو لجران رئيس مهندسي معبد الكرنك على وضع روايته « الإيمان La Foi » . ولما عاد لأوروبا مثّلها أولاً على مرسح مونت كارلو ثم بمرسح الأوديون بباريس . وترجمها الانكليز ومثّلت على مرسح « جلالة الملك بلندن » باسم « الآلهة الكاذبة » وقد استقبلتها الصحافة الفرنساوية بترحيب وإعجاب عظيمين . فما قالته جريدة الطان عنها بقلم محرّرها الشهير مسيو بريسون « انها رواية تصدّت لمسألة اجتماعية كبرى كانت من القدم مثار الأفكار ومحل الخلاف بين الناس ، وهي مسألة الإيمان . ولقد مثّل لنا فيها كاتبها صورة العذراء الطاهرة (يوما) وهي تسعى الى الموت فرحة سكرى برحيق الإيمان ، وصورة الحكيم المصلح (ساتني) وهو يحاول تطهير النفوس من الخرافات وارشادها الى الفضيلة المجردة ، وصورة الشعب الغشوم وقد استسلم لإيمانه الأعمى ، وصورة الكاهن الماكر وقد تولّى قيادة تلك القوّة العمياء الى حيث تخدم مطامعهُ وأمانيهِ . وصورة الإيمان البصير في نفس (ميير يس العمياء) التي « لا تؤمن بآلهة باسمهم يقتلون الناس » وهي الكلمة التي ختم بها المؤلف روايته »

وقد يطول بنا المقام لو أردنا أن نسرد ما جاء في الجرائد الأخرى مثل الإلوستراسيون وكوميديا والسيبكل والفيجارو والايكو ده باري الخ تقريظاً لهذه القطعة البديعة . انما نقتصر على القول بأنها من أنفس ما كتب الكاتبون ومثّل الممثلون ولا سيما لما اختصت بهِ من التأثير الكريم في نفوس الجمهور ، اذ يتأكد بالحس « أن الديانات — كما قال جوستاف لبون — أفادت الأمم باحداثها الأمل في الحياة الباقية أكثر من جميع من خلق الله من الفلاسفة والحكماء . وأن الديانات قوّة ينبغي الانتفاع بها لا معارضتها . وأن الأمم قلما تعيش بعد موت معتقداتها »

وفي هذه الجمل اندمج مغزى الرواية : فهي تشير الى أن الإيمان عماد القلوب

يعين المرء على الصبر على مضض الحياة الدنيا طمعاً في نعيم الآخرة ، وأنهُ الوازع للنفوس يردعها عن ارتكاب الجرائم واقتراف الآثام . وتظهر ما ارتكبهُ الشعب الجاهل في مصر من الكبائر لما تزعزعت معتقداته وفقد إيمانه ، وأن حقيقة ديانة المصريين كانت التوحيد . وموضوع الرواية مزيج من الخيال والتاريخ والفلسفة قائم على ما رُوي عن قدماء المصريين من أنهم كانوا يقرّبون فتاة عذراء للنيل كل عام ليفيض فيضانهُ السنوي المعروف

وعليَّ قبل اختتام هذه المقدمة أن أؤدي فروض الشكر لحضرة صديقي العالم العلاَّمة والأثري الكبير أحمد بك كمال أمين المتحف المصري لمساعدته إياي على ضبط الأعلام الهيروغليفية التي جاء ذكرها في سياق الرواية وتحقيق وقائعها الأثرية بتطبيقها على ما جاء في الآثار الصحيحة

وقد ذيلت صحف الرواية بما جمعتهُ من المباحث العلمية المتعلقة بأساطير قدماء المصريين وعاداتهم مما اقتضاه الموضوع اتماماً للفائدة وتبييناً للمصادر والحقائق ؟

صالح مجدي

مصر القاهرة في ١٣ أبريل سنة ١٩١٤

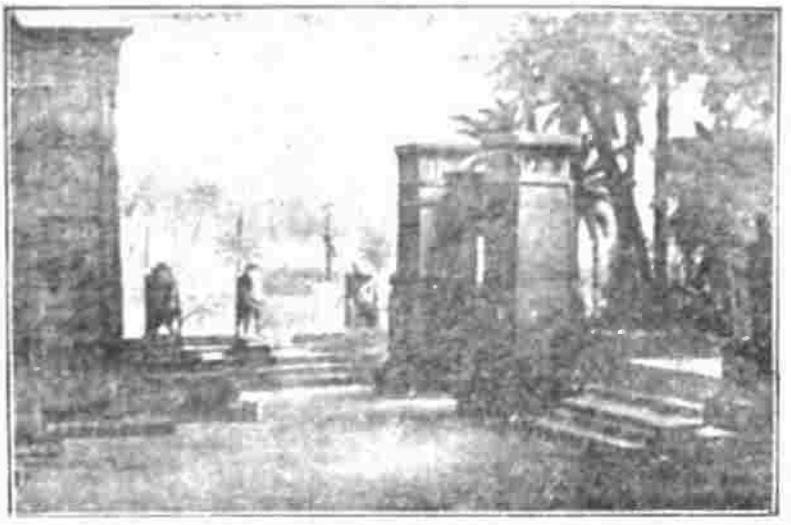

منظر الفصلين الاول والثاني : قصر وجيو من أعيان طيبة على النيل

منظر الفصل الثالث : منزل بائع صانع الفخار

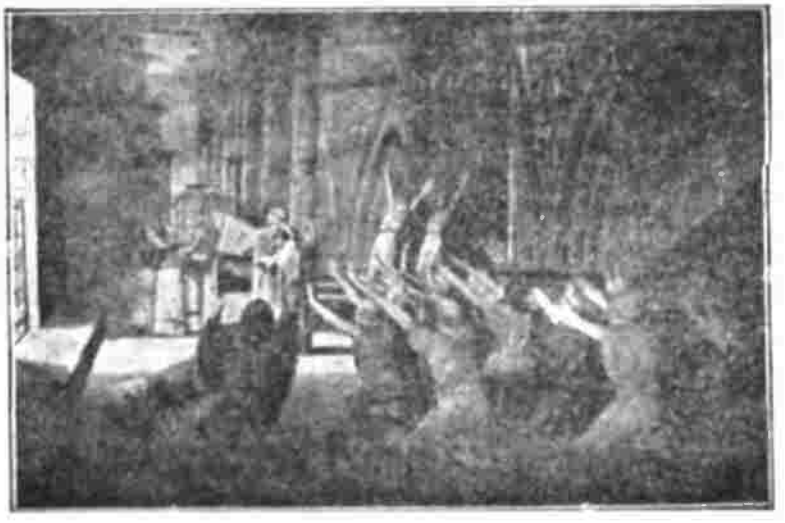

منظر الفصلين الرابع والخامس : معبد آمون بطيبة

اسماء الممثلين

الذين قاموا لأول مرة بتمثيل رواية الإيمان على مرسح الأوبرا الخديوية بمصر القاهرة
في ليالي ١٣ و ١٤ و ١٦ ابريل سنة ١٩١٤

الممثلون

ساتني	« كاهن مارق وحكيم ، ابن باخ ، وخطيب يوما »	جورج أبيض افندي
فرعون	« ملك مصر من ملوك الدولة الوسطى »	أحمد حافظ «
رئيس كهنة آمون		فؤاد سليم «
رَحْيُو	« من أعيان طيبة ، زوج ميريس ، ووليّ يوما »	حسن وصفي «
وكيل رَحْيُو		عبد المجيد شكري «
باخ	« صانع فخار ، من خدام رحيو ، ووالد ساتني »	عمر وصفي «
نُرْمْ	« رجل من الشعب متصل بقصر رحيو »	توفيق ظاظا «
سُوكِتي	« « « « « «	محمود رضا «
بِتْيُو القَزَمْ	« « « « « «	عبد العزيز خليل «

الضابط — الساحر — مساعدا الساحر — كهنة — خدم — رجال من الشعب

الممثلات

مْيِرِيس العمياء	« زوجة رحيو »	الست ألمز استاتي
يُوما	« خطيبة ساتني وعروس النيل »	« ابريز استاتي
كْرِيبا	« زوجة باخ وأم ساتني »	« ماري كافوري
دِلِيثي	« جارية بقصر رحيو »	« ماتيلد نجار
تايا	« جارية بقصر رحيو »	« ماري ابراهيم
حَنُّو	« جارية بقصر رحيو »	« سارينا ابراهيم

سِنْسِنيت . نَجاوُو . رَحاسي . مُوِينه . نُوريت «جوارٍ في قصر رحيو» . النائحات

« الواقعة بطيبة بصعيد مصر في عصر الدولة الوسطى الفرعونية »

الايمـــان

الفصل الأول

يمثل المرسح منظر الحوش الداخلي لمنزل رحيو بمدينة طيبه على اليمين باب كبير موصل للطريق وبجواره سطح مرتفع عن الأرض بضع درجات ويفصلهما جدار قصير أعلاه غير منتظم . وفي صدر الحوش سطح آخر مثله ويصعد اليه بضع درجات أيضاً ويطل على النيل ويرى منه قلع مركب راسٍ ويرى من خلفه ضفة النيل الأخرى بنخيلها وأشجارها . وعلى يسار المرسح جدران المنزل المعد للسكن وبابه . وعلى جانبي الباب عمودان قاعدتهما على شكل سيقان السوسن « اللوتس[1] » وتاجاهما على شكل زهرته . وبجوار العمود الذي على يمين الداخل شبه محراب فيه تمثال صغير للمعبودة ايزيس فوق قائمة من الخشب . وعلى جوانب السطحين ، مما يلي السلمين تماثيل للمعبودات آمون وتوبريس وغيرهما . وكذلك على جانبي الباب الخارجي من الداخل

الواقعة الاولى

« يوما — تايا — حنو — ستسنيت — نجاوو — دليثي — رحاشي — موينه »

دليثي بيدها قيثارة تضرب على أوتارها وأمامها نجاوو ترقص على نغماتها ، ورحاشي تتفرج عليهما — موينه تلاعب عصفوراً في قفص معلق على جدار المنزل يوما على السطح الأمامي وتايا بجوارها ، ويوما متكئة بمرفقها على الجدار تنظر للنيل شمالا ستسنيت مكبة على وجهها فوق حصير في وسط الحوش وبجانبها دواة وفي يدها مرود وشم تنقش به صورة ابيبس على ذراع حنو الأيسر وهي مكبة أمامها مثلها

أثناء التمثيل يخرج خدم من المنزل لقضاء بعض الحوائج ويدخل بعضهم حاملاً أواني من فخار بها ماء (بلاليص) وسلال من فاكهة (برتقال) ، وعند دخول حاملة البرتقال تكون نجاوو قد فرغت من الرقص فتأخذ رحاشي برتقالتين من السلة وتلعب بهما

الموسيقى وراء المرسح

(١) لوتس : نبات مصري قديم كان يعرف عند قدماء المصريين باسم (ششن) ومنه بالعربية (سوسن) قال ديوسكوريدس « اللوتس نبات ينبت في الماء اذا علا النيل أراضي مصر وله ساق شبيه بساق الباقلي وزهره أبيض » . واشتهر عند العرب بعرائس النيل . ويسمى الجنس الاحمر منه نيلوفراً وكانوا يصنعون من لبه قديماً غذاء طيباً

ستسنيت «تخاطب حنّو» — أما كنتِ تعلمين يا حنّو أن من تنقش صورة ايبيس [١] على ذراعها الأيسر تظلّ سعيدة يومها كله ؟

حنّو — سعيدة اليوم كله ! حقق الله فألكِ ! إذن ربما أكون الفتاة التي تصطفيها الآلهة هذا المساء لتكون قرباناً للنيل وعروساً لأوزيريس

دليثي « تخاطب نجاوو » — تباطئي ، تباطئي واشبعي في حركاتكِ تمايُل ورقة السوسن على وجه الماء ، اذا أراد النيل جرّها معهُ في تيار ضعيف ، فتميل حيناً حتى تلطم وجه الماء ثم تستقيم

نجاوو — حسناً فأعيدي « تعيد دليثي النغمة »

(تدخل في هذه الاثناء حاملة سلة البرتقال فتتناول منه رحامي اثنتين وتلعب بهما)

رحامي — لا تلبث نجاوو أن يذهب بها التيار ! انظرنَ كيف تحمّست

موينه — نعم أخشى أن يذهب بها التيار ، فقد علمتُ أنها تذهب بعد كل أصيل ، الى ضفة النيل ، لاستماع أناشيد صانع السلال

دليثي « تخاطب نجاوو » — أحسنتِ يا نجاوو ، وأراكِ تستطيعين الليلة أن ترقصي مع الراقصات عند الصلاة الكبرى لايزيس

حنو « تخاطب ستسنيت » — وقد تعطّرتُ هذا الصباح بالكِبا [٢] بعد أن خلطته بالدراصيني والمرّ والحبة الخضراء

نجاوو « تخاطب موينه » — نعم أذهب وأسمع الأناشيد . أما أنت فلا تزالين

(١) ايبيس : طائر مصري قديم لم تزل منه بقية في أرض مصر وعلى الأخص في الصعيد . ويسمى فيها الآن (أبو قردان) أو (أبو حنش) لانه يصطاد الأفاعي . وفي النوبة ويسمى أبو حنس . وقال بعضهم انه الطائر المعروف بالملق عند العرب وهو خطأ . ويظن العلماء أن ايبيس المصري طائر خرافي . وكان يسمى هيّ (ومنه كلمة ايبيس الاغريقية) . وكان قدماء المصريين يعظمونه ويقدّسونه وينسبونه لرب الحكمة (توت) ويرسمون هذا المعبود برأس ايبيس وقد اكتشف الاثريون في العرابة المدفونة (أبيدوس) بصعيد مصر مقبرة لجثث محنطة من هذا الطائر

(٢) كِبا : هو العود المتبخر به (لسان العرب)

صغيرة لا تعبأ بكِ الأبصار ، ولا يهتمّ بكِ صانع سلال ولا بائع فخّار

موينه — أتظنين ؟ اقتربي وانظري . مَنْ أعطاني هذا العصفور الجميل ؟ « تخرج من القفص عصفوراً مربوطاً ساقهُ وتخاطبهُ » من صادكِ أيها الطائر وأهداني اياك ؟ لينطق لسان حالك الفصيح . أما أنت فحاذر أن تبوح ، حاذر أن تبوح

حنو « تنظر في مرآة من المعدن » — يا ستسنيت ، أجدُ الخط الذي على صدغيّ مما يلي العين قصيراً فهل لمرودكِ أن يطيلهُ فازداد حُسناً . ولعلّ حظي يساعدني فتختارني الأرباب عروساً ؟ أليس كذلك يا تايا ؟ ولكن ما لكِ مبتعدة عنّا لا تتكلمين ؟

تايا — أنظر طائفة من الطير تتضاءل كلما أوغلت صاعدة الى القبة الزرقاء . أما أنتِ فلا تعلّقي الآمال على أن تكوني عروس الآلهة هذا المساء

حنو — ولِمَ ؟

تايا — لا أعنيكِ فقط بل أعني أيضاً كل الحاضرات في هذا المكان ، لأن الآلهة لا تأخذ الضحية من مدينة واحدة مرّتين في عامين متواليين

حنو — مطلقاً ؟

تايا — قليلاً ما تفعل

حنو — يا للأسف ! ألا تأسفين لذلك يا نجاوو ؟

نجاوو — لا أدري

ستسنيت — لعلكِ ترغبين عن المجد ؟

نجاوو — كلاّ . ولكني أُفضل أن اكون عروساً لمن أُحبّ

دليثي — وى ! والنيل إلهنا أترفضين خِطبتهُ ؟

حنو — طوبى لمن تصبح عروسه !

موينه — أما أنا ، فأفضل البقاء في الحياة

ستسنيت — ولكن اذا وقع اختياره عليك ؟

تايا — ألا تعلمين انهُ يجوز لها الرفض ؟

دليثي — نعم . ولكن يتحتم عليها اذ ذاك أن تبرح الدير ، وهل يستطيع ابن النيل أن يبرح واديه ؟ « تخاطب يوما » ما قولك يا يوما ؟

يوما « الى نفسها » — ربما . . .

رحاسي — ما تقولين يا يوما ؟

يوما — لا شيء . انما أحدث نفسي

موينه — تكاد يوما تخنقها العبرة فقد أجهدت نظرها طويلا في استطلاع الأفق فلم تظهر لها سفينة من تنتظر

يوما — اسكتي يا صغيرة

تايا « تخاطب دليثي » — ولكن لا بدَّ للسفينة المقدسة من عروس

دليثي — نعم و بدون التضحية لا يفيض النيل فتجدب البلاد

حنو — ولا تنبت الحنطة والفول والذرة والسوسن

دليثي — فيموت القوم جوعاً

حنو — اذن فالتي تقدم نفسها قرباناً للنيل انما تحيي أمة بأسرها . ألا ترين يا نجاوو أن ذلك خير من جلب السعادة لرجل واحد ؟

(سكوت)

يوما « الى نفسها » — ربما . . .

حنو — ثم تؤخذ من هيكل المعبود يوم العيد ، في موكب مشهود . وفرعون قوَّاه الإله وعافاه . . .

دليثي — انك لا تدرين يا حنو ، وأراك تهرفين بما لا تعرفين

حنو — كلا . وما قلتُ الاَّ حقاً . أليس كذلك يا تايا ؟ ان تايا لا تجهل شيئاً

من تلك الطقوس ، حيث كانت أختها في العام الماضي هي العروس

موينه — حدثينا يا تايا بما يكون

رحاسي — نعم صفي لنا ما يحدث

تايا — في اليوم الخامس من شهر بابه . . .

موينه — لا لا ، اليوم ، اليوم ، ماذا يحدث اليوم ؟

رحاسي — نعم ماذا يفعلون اليوم ؟ نحن نعلم أنهم يصلون لايزيس ، ولكن ماذا يفعلون قبل الصلاة وبعدها ؟

(تجتمع الجواري حول تايا)

تايا — عند الأصيل ، وقبل أن تغيب الشمس بقليل ، يسمع القوم نداء من الهيكل ، فيهرعون الى أسطحة المنازل مرتلين نشيد ايزيس العظيم ، ولا يُسمح بترتيله الاَّ مرة في العام في ذلك العيد . وتجتمع الكهنة في الهيكل يرتقبون النداء باسم التي يصطفيها المعبود قرباناً للنيل ، ليفيض فيضانه السنوي العميم . فيصيح صائح من أعلى الأسوار معلناً اسمها للناس ، وعلى مَن سمعهُ أن يجهر بهِ ليعلمهُ من لم يسمع فيبلغهُ لغيره . وهكذا تتناولهُ الأفواه والأسماع ، حتى يعمّ المدينة الخبر ، فيتقاطر الناس الى المنزل الذي باركهُ آمون ، فتتجلى لأنظارهم الفتاة واقفة ، وأهلها من حولها ركع وسجود . فيهلل لها القوم ويكبرون ، ويحيّون في شخصها عروس المعبود

الجميع « مبهوتات » — أوه !

دليثي — وبعد أن يمضي شهر التطهير ، يأخذونها الى بيت المعبود

نجاوو — ويوم المعجزات ؟

رحاسي — نعم ويوم المعجزات ؟

تايا — تكون العروس أمام القوم لدى المحراب ، فتصلي مع المصلين ضارعة ،

فيتزحزح الحجر الذي يحجب صورة ايزيس

دليثي — فترى ايزيس عن كثب ، ويمكنها أن تمسّها

الجميع — أوه !

تايا — وتضرع اليها فى مقدمة الناس ، أن تُحني رأسها اشارة الى أنها ستحمي مصر وساكنيها عاماً آخر . فاذا تضرّع القوم وابتهلوا ، وصلّوا صلاة حارّة ، تحني المعبودة رأسها وتكون تلك أولى المعجزات

دليثي — اذا أحنت المعبودة رأسها وهي من حجر فتلك احدى المعجزات

تايا — فاذا كان في جموع المصلّين عمي فقد يُبصرون ، أو صمّ فيسمعون ، أو بكم فينطقون

دليثي — وربما شفيت مولاتنا الكريمة ميريس من عماها ، فأبصرت عيناها

حنو — وعند ما تخرج العروس من الهيكل . . . خبرينا يا تايا كيف تخرج من الهيكل ؟

تايا — قبل اليوم المحدد بثلاثة أيام ، تأخذ المدينة بل الأقاليم كلها في اقامة معالم الأفراح . وفي ذلك اليوم يجتمع الناس من كل صوب وحدب لدى الهيكل . فتصطف الجنود الليبية لمنع الزحام وحفظ النظام . فتخرج العروس المصطفاة محلاّة بثياب خمر وذهب ، على محفة عالية ينطلق منها البخور ، ويحيط بها كبار كهنة آمون . فتمرّ بين تلك الجموع وأبصارهم حائمة عليها ، وأكفهم مرفوعة اليها ، ونغمات الأبواق والمزامير ، ممتزجة منهم بأصوات التهليل والتكبير

الجميع — أوه !

دليثي — ويذهبون بها الى النيل

تايا — نعم يذهبون بها الى النيل ، فتقلها سفينة آمون . وتلك السفينة يؤتى بها من أقصى المحراب

دليثي — وتبتعد بها السفينة عن الشاطىء

تايا — وتبتعد بها السفينة عن الشاطىء حيث القوم ساجدون . . . « تقف قليلاً كأنها تريد اخفاء اضطرابها » ثم تعود السفينة بدونها

الجميع « بصوت منخفض » — تعود السفينة بدونها !

تايا — وبعد يومين ترتفع مياه النيل

الجميع — ترتفع مياه النيل !

تايا — نعم ترتفع ، وتفيض في الترع ، فتعم كل اراضي حاكا يتاح[1] فتخصب الحقول ، وتنبت سنابل الحنطة والفول ، سنابل الحنطة الذهبية والسوسن والفول

دليثي — وكلما جرى النيل ، جرت الألسنة بشكر تلك التي فدت مصر العزيزة بنفسها

حنو — ليتني أكون هي !

الجميع « الا يوما » — ليتني أكون هي !

(يوما تنتصب ثم تجلس)

تايا — لو تكونين هي يا يوما ؟

يوما — اذن لربما أبيت

الجميع — وى !

موينه « بتبسم ذي معنى » — أنا أدري السبب ، أنا أدري السبب

دليثي — أظنهُ . . .

تايا — تكلمي

دليثي — أظنهُ عين السبب الذي يأتي بك الى هذا المكان منذ أيام ، فتظلين واقفة تسائلين الأفق

(١) اسم مصر القديم في الصعيد

يوما — نعم

موينه — انها ترتقب ظهور السفينة الآتية بالمسافرين من الشمال ، فان من بينهم فتى كاهناً هو ابن صانع الفخّار

دليثي — الفتى الكاهن ابن صانع الفخار والذي سافر منذ عامين

يوما — انهُ خطيبي

رحاسي — ولكن أتعلمين ماذا يقال ؟

تايا — يقال ان في تلك السفينة كاتباً يدعو الناس الى آلهة آخرين

يوما — علمتُ

دليثي — آلهة كاذبة

موينه « بخبث » — اذن فسيحجز الكهنة السفينة ، وتلبث يوما في انتظار خطيبها ثمانية أيام أخرى

يوما — سأنتظر

(يأتي وكيل صاحب الدار فيلقي كلمات في أذن دليثي)

دليثي — مولاتنا تنبهكنَّ أن أزفت ساعة الدخول

(يخرجن من جهة اليسار وتلتقط ستسنيت دواتها ورحاسي برتقالها تلعب به وتحمل موينه قفصها وتقفز به وتتناول دليثي قيثارتها تداعب اوتارها وتترنم مع حنو ونجاوو)

دليثي وحنو ونجاوو — شعرها اسود طويل * يشبه الليل البهيم

(يخرج الوكيل ثم يعود وفي يده سوط ووراءه رجل عجوز مسكين عاري الصدر ملطخ بالطين يحمل قصعة)

الواقعة الثانية

« الوكيل — باخ »

الوكيل « يقف امام تمثال تويريس » — ها هو ، اقترب أيها الرجل وانظر . انّ أذن المعبودة تويريس[1] قد انكسرت هذا الصباح ، وأنت صانع فخار ، فتستطيع لصقها قبل أن يراها ربّ الدار ، عند ما يحضر لصلاة الاصطفاء . ها هي الأذن أرجعها مكانها

باخ « مضطرباً » — أنا . . . يجب . . . اليوم يعود ولدي

الوكيل — ألستَ خادمنا ؟

باخ — نعم

الوكيل — وصانع فخار ؟

باخ — نعم

الوكيل — ألم تقل لي انك قادر على عمل ما آمرك بهِ ؟

باخ — ما كنتُ أظن أنك تكلفني رفع يدى الى المعبودة تويريس

الوكيل — أطع

باخ « يرتمي على قدميهِ » — عفواً ، عفواً ، لا أستطيع . . ثم . . ولدي . . . ولدي قادم من سفر طويل

الوكيل — سأقرعك عشرين عصا جزاء اجهادك لساني ، فاذا لبثتَ على إبائكَ زدتها الى مائتين

---

(١) تويريس : معبودة كان يسميها قدماء المصريين (ايبت) او (شيبوت) ويلقبونها بالكبرى (تاؤور) ومنه كلمة (تويريس) التي سماها بها (بلوتارخس) في كتابه (ايزيس واوزيريس) وكانوا يمثلونها على صورة العسنت (جاموسة البحر) ولها ثديان مدليان . وكانت رمزاً على الأمومة والرضاع . وعبدوها على الأخص في مدينة طيبة . ومن صفات هذه المعبودة أيضاً الانتقام ويمثلونها رمزاً اليه مسلحة بسكين وهي في صورة جسم عسنت له رأس لبوة

باخ — مولاي !

الوكيل « يضربهُ بالسوط » — قم واشتغل

(يهم بالخروج فيجري باخ وراءه)

باخ — اسمع ، اسمع ، سأصنع ما تريد ، ولكني لا أستطيع انزال المعبودة من مكانها ، لأن أطرافي لا تقوى على حملها

الوكيل — سوكتي يعينك

(يخرج فيصادف في طريقه سوكتي فيضربه بالسوط مشيراً له أن يلحق بباخ فيسرع اليه سوكتي بدون أن يبدي تألماً أو دهشة)

الواقعة الثالثة

« باخ — سوكتي — ثم بتيو القزم »

باخ — يقول انهُ يجب انزال المعبودة الى الأرض

سوكتي — أنا أنزلها ؟

باخ — بل نحن معاً

سوكتي « يرتعد ويقول بعد سكوت » — اني أخاف

باخ — وأنا مثلك خائف

سوكتي — اذا مسسناها متنا

باخ — وسنموت تحت العصا اذا عصينا

سوكتي — لِمَ لم يتركوني في عملي فقد كان خيراً لي

باخ « بعد تفكير » — اسمع ، يجب أن نخطرها أننا انما نفعل لرد أذنها لها

سوكتي — نعم يجب أن نعلمها ذلك

(يجثيان)

باخ — أيتها المعبودة وأم المعبودات ، اغفري لنا رفع أيدينا الحقيرة الى رأسك

المقدّس . وقعت أذنك ونريد ردها مكانها . .

سوكتي — وهم يجبروننا على اطاعة أمرهم . فأيتها الروح الإلهية المقدسة ، خالقة الكون ، اغفري لنا ، انما نريد اصلاح أذنكِ

باخ « يقوم ويقول لسوكتي » — تعال

(يدخل بتيو القزم وهو صعلوك قصير القامة محدودب الظهر فعندما يرى باخ وسوكتي يمدان أيديهما الى التمثال يرتد مسرعاً جزعاً فيقع فيقوم فيقع فيلتجىء الى ركن ينظر منه اليهما ثم يتقدم نحوهما رويداً رويداً أثناء ما يأتي)

سوكتي — انها لم تقل شيئاً

باخ — يجب أن نلقيها على وجهها

سوكتي — بتلطف

باخ « يتناول الأذن » — امسك هذه « يذهب فيأتي بالقصعة ويضع فيها قليلاً من الطين ويهيىء العجينة » هات « يتناول الأذن ويلصقها » لندعها حتى تجف . والآن فتعال معي لنرى هل قدمت السفينة التي تقلّ ولدي

سوكتي — لن تراه

باخ — لن أراه ؟

سوكتي — انهُ كاهن

باخ — لما يدخل الكهنوت بعد

سوكتي — ولكنهُ تربى في الهيكل فالى الهيكل سيذهب

باخ — سيجيء الى هنا لأنهُ يودّ أن يرى أباه وأمه

سوكتي — وخطيبته يوما

باخ — وخطيبته يوما

(يقصد باخ جهة اليمين فيقترب بتيو من التمثال حذراً ثم يقف على مسافة منه)

سوكتي — أنّى وصل نظري لا أرى شيئاً

باخ — ولا أنا . . . « فجأة » أرأيت التمساح ؟

سوكتي — نعم . وها امرأة قادمة الى النيل وجرَّتها على رأسها

باخ — هذه كريا امرأتى ، ها هى تنظر علَّها ترى السفينة التى تحمل ولدنا ساتنى

سوكتي — انها تعمقت في الماء !

باخ — لتأتى بهِ نقيًّا صافياً

سوكتي — ولكنها فى المكان الذى ظهر منهُ التمساح !

باخ — لا يهمّ ، لأنها تحمل ريشة من ريش ايبيس . . وأنا أعرف الكلمات السحرية التي تبعد التمساح ، اسمع (يترنم) : « الى الوراء يا ابن ست[1] لا تظهر على الماء ، لا تقبض ، لا تفتح فمك . ليصبح الماء لهيباً من نار أمامك . وليُلقَ سحر المعبودات السبعة والثلاثين في عينك . ربطتك ، ربطتك ، فقف يا ابن ست واحمها يا آمون يا زوج أمك[2] »

سوكتي « بغير دهشة » — قد اختفى التمساح !

باخ « كذلك » — وهل كان يستطيع غير ذلك ؟

(بتيو وقد أصبح على مقربة من تمثال المعبودة يمد أصبعه اليها حذراً فيمسها ثم يرتد ناجياً بنفسه فيعثر ويقع ثم يقوم فيقترب من باخ وسوكتي)

سوكتي « مشيراً الى المعبودة » — أظنها جفت الآن

باخ — نعم ، فهيا بنا

سوكتي — لا أزال خائفاً

باخ — وأنا أيضاً ، ولكن تعال نتعاون عليها

(يقيمان التمثال ويضمانه حيث كان ثم يرتدان فيقفان بعيداً عنه ينظران اليه)

سوكتي — انها لم تصبنا بسوء !

---

(١) ست هو الشيطان أو اله الشر (٢) قوله « يا زوج أمك » اشارة الى أنه أبو نفسه أي موجد نفسه بنفسه . وهذه التعويذة منقولة من الآثار القديمة

باخ — كلاَّ

سوكتي « ضاحكاً » — هى هى

باخ « ضاحكاً » — هى هى

سوكتي « ضاحكاً » — هى هى هى

باخ « ضاحكاً » — هى هى هى « يضحك بتيو معهما . يسمع من بعيد صوت بوق فيصعد سوكتى وباخ الى السطح ينظران » هذا أمير المقاطعة يحملونهُ الى مدينة الأموات[١]. روحه الآن أمام محكمة اوزيريس والقضاة الاثنين والأربعين[٢]

سوكتي — لعلهم مجازوه بما فعل من السيئات

باخ — سيُجزى عليها ألف مثل ، وسيمرّ أولاً على بحيرة النار

سوكتي « ضاحكاً » — باخ ، باخ ، أتتصوّرهُ وهو في الآخرة في الأمنتي[٣]

باخ « ضاحكا » — نعم نعم ، ويكون المحور القائم عليهِ باب الأمنتي في عينه اليمنى وكلما فتح الباب أو أغلق يُدور المحور في عينه فيفريها وهو يصرخ ويستجير

سوكتي « مسروراً » — وسيجزى على شراهتهِ ونهمهِ فيعلق الماء والخبز فوق رأسه ، وكلما همَّ بتناولها تنشقّ تحت قدميه هاوية تبعده عنهما

باخ — ذلك لأنهم يجدون سيئاته تربو على حسناته

سوكتي — ونحن ، ونحن ، قُل ماذا يكون مصيرنا

باخ — امّا نحن فيرى القضاة أنَّا من الطاهرين

سوكتي — وبعد وبعد ؟

باخ — وبعد نذهب الى الأمنتي وبرزخ الأرواح[٤]

(١) مدينة الأموات أي القرافة (٢) هي المحكمة التي تحاسب أمامها الأرواح بعد الموت حسب اعتقاد قدماء المصريين (٣) الأمنتي اسم الآخرة عندهم (٤) هي بعض جهات الجنة في معتقدهم

سوكتي — نعم، وفيهِ ؛ قل ماذا نجد فى برزخ الأرواح

باخ — نجد عيوناً من ماء غير آسن

سوكتي « مقهقهاً » — وماذا أيضاً ؟ غير ذلك ؟

باخ « كذلك » — وسنابل من بُر قيد ذراعين

سوكتي « كذلك » — نعم نعم ، سنابل من بُر قيد ذراعين

باخ — وخبزاً من الذرة وفولاً

سوكتي — ومقامع وأسواطاً . قل لي أهناك مقامع وأسواط .

باخ — أبداً

سوكتي — أبداً ؟

باخ — وننسى هناك كل ما أصابنا

سوكتي — وآكل حتى أشبع ... كل يوم

بتيو — أما أنا فتطول قامتى وتستقيم ، وتصبح لى قدمان مثل باقى الناس

باخ — انهُ مُلك لا يعادلهُ ملك الأرض

(يضحكون ، يظهر الوكيل)

الوكيل — ماذا تفعلون ؟ « يضربهم بالسوط » هى سيدتكم قادمة ، فانصرفوا من هنا

(يخرجون ، يطأطىء الوكيل رأسه أمام سيدته ميبريس العمياء ، وهي قادمة تحمل زهوراً وتقودها يوما)

الواقعة الرابعة

« ميبريس — يوما »

ميبريس « برفق » — دعينى يا يوما ، فأنا أعرف كيف أصل اليها وحدى

يوما — أمركِ يا مولاتى « وتتبعها مخففة وطء قدميها »

ميبريس « مبتسمة » — أشعر بك خلفى ، فلا تخافى علىَّ « تتقدم نحو تمثال ايزيس

الصغير » أرأيتِ كيف بلغتها وحدي ؟ لقد مضى عليَّ زمن طويل ، وأنا أجيء اليها كل يوم لأقدم لها الأزهار ، فدعيني

يوما — حسناً يا مولاتي « تبتعد »

ميريس « تتلمس التمثال كما يفعل الأعمى » — نعم ها أنت يا ايزيس[1] عرفتُ وجهك ، وأشعر بابتسامة ثغرك ، وقد أصبحت أناملي تعرف سيماك « تتناول من الزهور التي بين يديها فتضع منها على القائمة التي عليها التمثال » ، هذه قرباني التي آتي بها كل يوم اليكِ ؛ كأني بهذه زهرة سوسن[2] بيضاء ، انها لكِ ، ولا أظنني مخطئة ان كانت هذه أكبر منها وأطيب عرفاً ، «تشمها» انها زهرة نيلوفر حمراء[3] . واليكِ أيضاً هتين الزهرتين المقدّستين انهما يشرفان على وجه الماء عند الصباح ، وتتفتح أكمامها عند الزوال ، فاذا احتجبت الشمس وراء الأفق ، تحتجبان تحت الماء ، كما يحتجب تحت النقاب وجه الحسناء . يقولون ان هذه الزهور جميلة ، ولكن واأسفاه ! لا أرى

(١) ايزيس بالأغريقية وتسمى عند قدماء المصريين (سايت وايزايت وايزيت وايزي) كانت في البدء معدودة مصر السفلى وكانوا يعتقدون أنها ولدت ابنها حوريس من غير ذكر وأنها تزوجت بعد ذلك أخاها أوزيريس فتكوّن منها ومنه ومن ولدها الثالوث المقدس . ولما اعتلى أوزيريس عرش العالم اعتلته ايزيس معه وعاونته على تهذيب بني الانسان فوضعت أساس الطب وأحكمت العلاقة بين الرجال والنساء بسن الزواج وعلمت الانسان طحن الحبوب على رحاة وكانت أول من نسج الأنسجة . ولما سافر أوزيريس للحرب قامت مقامه في الملك فلما عاد زوجها وقتله أخوهما ست (الشيطان اله الشر) قطعت شعورها ومزقت ثيابها ورحلت للبحث عن الصندوق الذي به جثة زوجها فوجدته وأودعته تحت شجرة فعثر به ست وقطع الجثة ارباً ووزعها في الأرض فرحلت ايزيس تبحث عن تلك القطع حتى جمعتها فحنطتها وردت اليها الحياة بمساعدة أختها (نفتيس) وابنها (حوريس) ومساعدة (أنوبيس) و(توت) ثم نقلت زوجها الى العالم الآخر وجعلته ملكا على الأموات . ولما بلغ ابنها حوريس مبلغ الرجال ساعدته على أخذ الثار من ست ثم لحقت باوزيريس في العالم الآخر . وكانت عبادة ايزيس شائعة في مصر . وأهم معابدها بجزيرة أنس الوجود وآخر عهد المصريين بعبادتها سنة ٥٥٦ للميلاد في أواخر حكم يوستنيانوس اذ طرد رهبان تلك الجزيرة ما بقي فيها من المقيمين على عبادة ايزيس

(٢و٣) راجع تفصيل أسماء هتين الزهرتين في هامش صفحة ٩

جمالها . هاكِ زهرة جَفْنٍ [١] ، وهذه زهرة فُتنة ، عرفتها من عبيرها المتضوّع . يقولون ان أشعة الشمس اذا عبثت بأكمام هذه الزهور صبغتها بأبهى الألوان التى تتمتع بها الأنظار . فلتقرّ بها عيناك يا ايزيس . أما أنا فلا أرى جمالها ! ولكنى سآتى اليك كل يوم مدى العمر ، راجيةً ، متوسلةً ، مبتهلة ، أناديكِ فى صلواتي بقلب محزون ، أن ترأفي بحالي ، وتجيبي ندائي وتنعمي عليَّ بما أنعمتِ على عبادكِ الاخرين : امنحيني نعمة البصر ، امنحيني نعمة البصر لأرى أشعة الشمس المشرقة ، أشعة آمون رع الإلهية المقدسة . وسأذهب هذا العام أيضاً ، باكية ، متوسلة ، الى معبدكِ يا ايزيس في يوم المعجزات ، وسأبتهل اليكِ لتكشفي عني غطائي فتتجلى عليَّ محاسن هذا الوجود . ايزيس اذكري أن مصابي عظيم . وأنهُ كان لي طفل صغير كان يرى ، نعم كان يرى ، ثمَّ ابتدأ يتكلم ، فيصف لى ما يرى على قدر ما يتصوَّر . فلم يكُ أشهى على قلبي من رؤية الأشياء بعينيهِ ، وسماع وصفها بلسانهِ ، ولكنهُ مات يا ايزيس ولم أرهُ قط ! والآن قرباني اليكِ دموعي وحسراتى ، وحُرقتي في صلاتي . ليلي دائم ، أما لليلي من آخر ، ان كنتِ لا تريدين يا ايزيس أن تكشفي عني ظلماتي ، فعجّلي بمماتي . أسلميني الى المنون ، محبة السكون [٢] لأحظى بعد الحساب برؤية ولدي المحبوب في الأمنتي ، فأراه اذ ذاك لأول مرة ، نعم لأول مرة ... تقبلي يا ايزيس هذه الزهور « تقف » تعالي يا يوما « تتأهب للخروج ولكن تقف بغتة وتصيح فرحة » ولكني أسمع صوتاً . . . نعم . . . اذهبي يا يوما وائتيني بابريق الماء المصفى . لقد أقبل زوجي ، ها هو

(تخرج يوما وتعود سريعاً ويدها ابريق وطشت ومنشفة)

---

(١) الجفن شجر طيب الريح (لسان العرب) (٢) وصف الموت في الآثار القديمة

الواقعة الخامسة

« ميريس — يوما — رحيو — ثم باخ »

ميريس — مرحباً بك في دارك يا مولاي !

(تصب يوما الماء على يدي سيدها وتناوله ميريس المنشفة)

رحيو — أنا سعيد برؤياكِ في منزلكِ يا ميريس، لعلك قضيت نهاركِ في صفاء ؟

ميريس — نعم فقد حضر لديَّ بعض الأطفال وأخذوا يلعبون ، فسرَّني ضحكهم ولعبهم ، وكان صوت أحدهم يشبه صوت ولدي ، فأدنيتهُ مني وتلمستُ وجههُ بيدي كما كنتُ أفعل مع ولدي ، فشعرتُ بشعر كشعرهِ ، ورأس كرأسهِ ، وجسم حيّ كجسمهِ . فاطمأنَّ لهُ قلبي ، وجفت عيناي فلم أبكِ. وكأن صوتاً خفيًّا كان يناديه من أعماق قلبي قائلاً : أيها الطفل الصغير ، ان سنَّك سنّ الذي سلبتنيهِ المنون، محبة السكون . ولكنهُ الآن في الأمنتي وبرزخ الأرواح ، أسعد منكَ حالاً ، لأنهُ في حمايةٍ من النوائب التي تترصدك . انهُ أسعد منك حالاً، لأنهُ متمتع بالحياة في نور شمس من ذهب، وحوله جنات من زهور تجري فيها الأنهار المعطّرة . وأنا اذا حانت ساعتي ، وتلقفتني المنون محبة السكون ، فيومئذٍ أراهُ، نعم أراهُ لأول مرَّة ، فأداعبهُ كما أداعبك ، وألاعبهُ كما ألاعبك ، ويومئذٍ لا تفرّق بيننا المنون . اذهب يا ولدي وألعب ، ان السعادة ليست من متاع هذا العالم الفاني

(يدخل باخ باحثاً عن قصعته)

رحيو — أجبني يا باخ . ألا تذهب لاستقبال ولدك

باخ — كنتُ أودّ يا مولاي . ولكني ذهبتُ الى النيل الساعة فلم أجد بهِ سفناً

رحيو — لقد وصلت السفينة هذه الليلة ، وأمر الكهنة أن تبقى في منعطف النهر الى الساعة ، فاذهب

باخ — شكراً لك يا مولاي « يخرج »

رحيو — أستعدّ كل مَن في الدار للصلاة لايزيس ، فقد أوشكت الشمس أن تغيب ؟

ميبريس — اذهبي واستعجلي مَن في الدار يا يوما

يوما « تجثو متوسلة » — مولاتي !

ميبريس « تضع يدها على رأس يوما » — ما بكِ ؟

يوما — السفينة !

ميبريس — وبعد ؟ آه تذكّرت . أنتِ مخطوبة لابن صانع الفخار ، ولكن لايمكنك أن تخرجي الآن . فمن يدرينا أن لا تكوني التي يصطفيها آمون هذا المساء

يوما — ان آمون لا يعرفني

ميبريس — اذا اصطفاكِ فهو يعرِفك

يوما — أنا . . أنا خادمة حقيرة ، لا أظن يا مولاتي ، انهُ لا يحتمل

ميبريس — ولمَ ؟

يوما — أتظنين انهُ يحتمل ؟

ميبريس — طبعاً ، فبادري

يوما « لنفسها وهي خارجة » — الإله آمون يصطفيني ! . . ربّ الأرباب !

ميبريس — رحيو ، رحيو ، أنحنُ وحدنا ؟

رحيو — نعم

ميبريس — اذَن قل لي ماذا جرى ؟

رحيو — اهانة أخرى لحقت بي

ميبريس — كيف ؟

رحيو — ما كدتُ أتمثَّل بين يدي فرعون في ايوانهِ ، حتى هبطت لهُ ساجداً فسألني بصوت جاف : ماذا تريد ؟ . وأنت تعلمين أن العادات تقضي على مخاطبه أن لا يجيب ، وأن يتظاهر بأنهُ ارتج عليهِ لهيبتهِ وجلالهِ . .

ميبريس — ألم تفعل كذلك ؟

رحيو — فعلتُ ولكن . . .

ميبريس — حاذر . أما من أحدٍ يسمعك ؟

رحيو « متلفتاً » — كلاَّ . ولكنهُ بدل أن يأمر بقيامي ، أو يستعد لسماع كلامي — آه من هذا الكلب الحبشي — تظاهر بأنهُ لا يراني ، فتركني جاثياً أمامهُ طويلاً طويلاً . ثمَّ لما تذكَّر أني لم أبرح مكاني ، ورأى أن الغضب يكاد يذهب بجناني ، قال ان روحاً خبيثة استولت عليَّ ، وأخذ يتظاهر بالاشفاق عليَّ ظاهراً ، وهو يهزأ بي باطناً . وأخيراً أذن لي بالانصراف ، ونسي أنني لو كنتُ أريد . . .

ميبريس — صه صه . ألا تعلم أن الآلهة على مقربة منك وأنها تسمع صوتك

رحيو « مستنكراً » — هو هو . الآلهة !

ميبريس — ماذا تعني ؟

رحيو «مستهزئاً ثم متحمساً» — أعني أني ابن رئيس كهنة ، وأعرف هذه الآلهة وقد نسي فرعون أني لو أردتُ أن اعدّد للشعب ما أدّاهُ والدي له من الخدمات ، وأن أُسلّح رجالي الذين يشتغلون في مزارعي ، وأن أرسلهم عليه . . .

ميبريس — رحيو ! رحيو !

رحيو — أتظنين أنهم يعصونني . ان فرعون لا يغفر لي أني ابن رئيس الكهنة السابق ، وأن أبي كان صديق فرعون السالف ، وأنهُ كان يريد أن يبدّل

آلهتهم بإله حق واحد . ونسي فرعون أني لو صحتُ في قومي : أن يا قومُ قد جاءني أبي في الرؤيا وأوحى اليَّ ما أوحى ، لتبعني من قومي كل مَن أدمتْ ظهرهُ عصا جابي الضرائب ، وخشي أن يُؤخذ قسراً الى حرب لا يُعلم فيها من الغالب . وأقبل القوم اليَّ من كلّ حدبٍ ينسلون ، ويصدعون بما يُؤمرون

ميريس — ولكنهم يخشون أربابهم

رحيو — لن يخشوهم طويلاً !

ميريس — أسمعهم قادمين للصلاة

رحيو — نعم فلنتأهب للصلاة كيلا يكون لهم سبيل اليَّ حتى يؤون الأوان

ميريس — أي أوان ؟

رحيو — لو أمكنني أن أتمم ما كان يفكر فيهِ أبي ، وأنتقم ايضاً ممن ألحق بي كل هذه الإهانات . . .

ميريس — صه صه . أسمعهم مقبلين

(تسمع أنغام مصحوبة بالموسيق قادمة من بعيد)

المصلون « من بُعد » — ايزيس يا ذات العلا أنتِ قصد المستجير

أنتِ عون للغنى أنتِ ذخرٌ للفقير

(تنقطع الأصوات عند دخول المرسح . تدخل نسوة الدار تتبعهن الخدم)

الواقعة السادسة

« السابقون — النساء — الخدم — ثم ساتني »

رحيو « يتقدّم نحو السطح ناظراً للأفق » — لمْ تنزل الشمس عن الاكمة ، ولكنني أرى في النيل . . . يوما ، يوما ، هذه السفينة القادمة بخطيبك

يوما — ها هي ! ها هي ! قد وقفتْ . انهم يدقون الوتد . حاذت الشاطىء . رموا الهلب . ان رجالاً يخرجون منها . هذا الرجل الغريب . . .

رحيو « مبتسماً » — انهُ ليس غريباً

يوما — لم أعرفهُ لتغير زيّه

(يدخل باخ)

رحيو — ألم تستقبل ولدك ؟

باخ — وجدتُ يا مولاي على الطريق الموصل للنيل جعرانين ميتين

رحيو — اذن لا يستطيع أحد أن يمرّ في ذلك الطريق قبل أن يُطهّر الاّ رئيس الكهنة

باخ — لقد نبهتُ المارّة يا مولاي ، فاضطروا أن يأخذوا طريقاً آخر طويلا

رحيو — وهل عرفتَ ولدك ؟

باخ — كلا ، ولكن سيخرج من السفينة مع الخارجين « يبتعد »

يوما — ولكن . . . ولكن ها رجل مقبل الى هذا المكان . وهو ذلك الذي ظننتهُ غريباً . أين وجدتَ الجعرانين يا باخ ؟

باخ — بالقرب من شجرة التين

يوما « جزعة » — ويلاه ! سيمرّ من هناك ! . . انهُ لا يدري « بارتياح » شكراً لهم لقد نبههُ بعضهم

رحيو — انهُ توقف

يوما — بجانب شجرة التين تقول . ولكنهُ استمرّ في طريقهِ . ويلاه ! انهُ سائر لقد تقدم ومرّ ! « الى ميريس » مولاتي مولاتي ، اليّ اليّ . آه يا آمون !

(تهرب مع ميريس واضعة يديها على عينيها)

رحيو — انهُ قادمٌ الى بابنا ، ها هو

(يدخل ساتني)

ساتني « مسلّماً محنياً رأسهُ » — سلامٌ على رحيو

رحيو — ماذا ! أهذا أنتَ يا ساتني ؟

باخ — ولدي !

ساتني « جاثياً » — أبي

باخ — ... أأنت ، أأنتَ الذي مررت في هذا الطريق بالرغم من الجعرانين

ساتني — نعم وسأوضح لك

باخ — لا بدَّ أنك مستظهر الكلمات السحرية ، لأني أنا رأيتهما . رأيتهما بعيني رأسي . ويجب أن أتطهَّر قبل أن أقرب الصلاة . ألا تعلم أن اليوم عيد الاصطفاء ؟

ساتني — أعلم ذلك ، وأين يوما ؟

باخ — انها هنا وستراها قريباً

رحيو — ساتني

ساتني — أتناديني ؟

رحيو — نعم ، ألم تر الجعرانين على طريقك ؟

ساتني — رأيتهما

رحيو — ولم تتحوَّل عن الطريق ؟

ساتني — كلاَّ

رحيو — ولمَ ؟

ساتني — لأن قلبي استناد بالعلم حيث كنت

رحيو — أنت كاهن ، أفلم يكن من واجباتك أن تذهب أولا الى الهيكل قبل أن تجثو أمام أبيك ؟

ساتني — لن أدخل الهيكل ما حييت

(يسمع من بعيد صوت بوق ينفخ فيه طويلاً)

رحيو — النداء للصلاة !

(يصعد الى السطح ويمد يديه الى الشمس الغاربة وتقف النساء مستقبلة اياها بعضهن يدهن القيثارات والبعض يدهن الدفوف والساجات او المزامير والبعض يرقصن والخدم يصفقون بأيديهم توقيعاً على هذه الاصوات المصطخبة بالموسيقى من وراء المرسح)

رحيو — ايزيس ، ايزيس ، ايزيس . أناديكِ ثلاثاً بالتعظيم والتقديس

الجوقة «نشيد» — ايزيس يا ذات العلا أنتِ قصد المستجير

أنتِ عونٌ للغني أنتِ ذخرٌ للفقير

رحيو — ايزيس احفظي لنا بُرَّنا ، قُوتنا ، من خبيث الرياح . واحفظي لنا جسم آبائنا ، من بلاء الزمن

الجوقة — ايزيس احفظي لنا بُرَّنا ، قُوتنا ، من خبيث الرياح . واحفظي لنا جسم آبائنا ، من بلاء الزمن

رحيو — ايزيس احفظينا

الجميع — ايزيس احفظينا

رحيو — هنا فاحفظينا ، واحفظينا هناك

الجميع — هنا فاحفظينا ، واحفظينا هناك

رحيو — وفي كل آن ، وفي كل حال . وما دام هيكل ، وما دام نيل

الجميع — وفي كل آن ، وفي كل حال . وما دام هيكل ، وما دام نيل

الجوقة « نشيد » — ايزيس يا ذات الصفا نيلك النيل الكبير

فأفيضِهِ على كل الورى فيضكِ الوافي الغزير

رحيو — ايزيس !

الجميع — ايزيس !

رحيو — ايزيس !

الجميع — ايزيس !

رحيو — ايزيس !

الجميع — ايزيس !

(يخرّ الجميع جاثين الا المغنيات والراقصات)

رحيو — نتوسل اليك يا آمون ، أن تصطفي العذراء التي نقدمها قرباناً اليك . أغثنا باصطفائها يا آمون !

الجميع — أغثنا باصطفائها يا آمون !

(سكوت تام . يسمع من بعد صوت البوق)

رحيو — هبوا فقد تمَّ الاصطفاء « يهبّ الجميع ويتكلمون فيما بينهم كما يشاؤون »

رحيو « الى ساتني » — لمَ لم تصلِّ مع المصلين ، ووقفتَ بعيداً عن المبتهلين ؟

ساتني — تعلمتُ الحكمة في بلاد قوم يعقلون

رحيو — أنتَ ! وهل نسيت أنك من كهنة آمون ؟

ساتني — برئتُ من الكهنة ومن آمون !

أصوات — اسمعوا . اسمعوا . الاسم . يجهرون بالاسم

(تسمع جلبة من بعيد)

رحيو — الاسم الاسم

(يصعد الى السطح ويظهر قرص الشمس محمراً عند الغروب ويحمر الأفق)

ساتني « الى يوما » — لقد جمع الله شملنا يا يوما ، وأراكِ كما كنتِ تحملين ثياب العذارى . أكنتِ مترقبة عودتي يا يوما ؟

يوما — نعم يا ساتني ، كنتُ أترقب عودتك

ساتني — ولم تبرح ذكراي من بالك ؟

يوما — اسمع

(جلبة من بعيد)

أحد الخدم — يخيل لي أني أسمعهم ينادون باسم رَوْنيت

غيره — كلاَّ كلاَّ، ليس هذا الاسم

ساتني — وما يعنيكِ من صياحهم . أنسيتِ عبودنا ؟

يوما — كلاَّ . اسمع

(جلبة مقتربة)

أحد الخدم — أمتيرا ، أظنها أمتيرا

غيره — كلا ، أظنها حَيحور

غيره — كلا ، أمتيرا مقيمة في غير هذا الحيّ

غيره — لا أستطيع تبيّن ما يقولون

غيره — لأنهم مرُّوا وراء النخيل

ساتني « الى يوما » — أجيبي . أما لكِ آذان الاَّ لهذا الصياح ؟ اني أهواكِ يا يوما

أحد القوم — انهم يقتربون ، انهم يقتربون

غيره — أظنهم يقصدون كارنو لأن دارها قريبة من هنا

غيره — كلا ، بل أظنها حَيحون أو كَرْما

ساتني « الى يوما » — أزال حبي من فؤادكِ يا يوما ؟

يوما « ملتهية عنهُ » — كلا ، كلا . اني أحبك يا ساتني . ولكن يخيل لي أن ... اسمع ، اسمي يصيحون بهِ !

ساتني — فلينادوا بهِ ما يشاؤون فإني هنا أحميكِ

يوما — ولكن اذا كان الإله اصطفاني يا ساتني ؟

ساتني — أيّ إله ؟ انما الكهنة هم الذين ينطقون

(تقترب الأصوات)

أحد الخدم « قادماً » — هي يوما ، وهم قادمون الى هنـا . أسرعوا ، أسرعوا وأكرموا وفادتهم

غيره — لا أظنها هي

غيره — بل هي

غيره — بلا شك هي

غيره — لا لا

غيره — هي هي يوما

ساتني — لا تنخدعي ، فما إلههم الاَّ من حجر.

يوما « فكرها شارد » — لا شكَّ أنهم ينادون باسمي

أحد الخدم — قد قدموا

غيره — ها هم

(يأخذ الجمع الذي بالمرسح في الانسحاب)

أحد الخدم « وهو خارج » — هي يوما . . .

أصوات « من الخارج » — يوما ، يوما

الوكيل « الى رحيو » — مولاي ، انها يوما

رحيو — اذن فاذهب واستقبل الوافدين كما تقضي بهِ الطقوس

(يخرج كل من بالمرسح الا يوما وساتني)

الواقعة السابعة

« يوما — ساتني »

ساتني — اذن أنتِ ؟

يوما « متهللة » — نعم أنا !

ساتني — لكِ أن ترفضي

يوما — نعم ، ولكن أُجبر على مبارحة البلاد

ساتني — نبرحها معاً

يوما — أنا يا ساتني ، أنا المصطفاة ، فكّرِ في ذلك . ان الإله اصطفاني من بين أترابي جميعاً !

ساتني — لا تبقي هنا

يوما — وأين تريد أن أذهب ؟

ساتني — حيث أذهب

يوما — نعم نعم ، أنا المصطفاة ! اسمع صوت الجماهير

ساتني — ارفضي

يوما « مبتسمة مشرقة الوجه » — واذا رفضتُ لا تعود أنتَ تهواني

ساتني — انك لا تدرين اذن شيئاً . انما يدعونك للموت

يوما — نعم ، وأي موت يا ساتني !

ساتني — أنتِ لي ، وقد أقسمتِ على ذلك ، أنسيتِ القسم ؟

يوما كلا ، ولكن لم تخطر ببالي هذه السعادة لمّا أقسمت

ساتني — هيا معي

يوما — دعني

ساتني — هيا معي

يوما — أتريد اذن حقاً أن أرفض . . . ؟

ساتني — نعم لأني اهواكِ

يوما — وأن أصم آذاني عن نداء إلهي ؟

ساتني — ار بأي بنفسك من الموت

يوما — وما عسى القوم يقولون تحدثاً بي . تدبَّر ، انَّ الإله اصطفاني أنا على حقارتي ، وفضّلني على غيري من العالمين . فضّلني على مَن هُنَّ أبهى مني جمالاً ، واكثر مالاً ، وأعزّ نفراً . أأختني اذن من وجه الإله ؟

ساتني — اذن أنت ترغبين الموت في سبيل الفخر ؟

يوما — انما أبتغيهِ في سبيل مصر ، في سبيل فيضان النيل على أرض القطر . في سبيل اخصاب الحقول ، في سبيل انماء البقول . في سبيل انبات الزرع ، وادرار الضرع . اني اذا صممت الآذان عن هذا النداء ، وافتديت نفسي دون هذا الفداء ، أصبح اسمي ممقوتاً وذكري مرذولاً ، في كل مكان تنيره أشعة الشمس المقدسة . وتخرج من بين أترابي فتاة غيري ، فتتحلى بالثياب المزركشة ، وتخلع عليها الخلع السنية ، من نسيج التيل والخيوط الذهبية ، وتتوّج هامتها باكليل من ورق السوسن المقدّس ؛ فتهلل لها الجماهير ، وتقدّم بدلي قرباناً للنيل

ساتني — لتمت سواكِ مَن تشاء . أما أنتِ فستبقين لسعادتي وسعادتك

يوما — بل لمذلتي ومذلتك

ساتني — أنيري الأرض يا يوما بسناء جمالك ، وأنعمي عليَّ بحفظ حياتك . وابقي معي أجملك بأثمن الحلل ، وأزين صدرك بأجمل الأزهار ، وأعطر شعرك بأزكى الأعطار

يوما — مياه النيل السندسية خير حلة ، وزهوره الجميلة خير حلية

ساتني — أكنتِ تهوينني ؟

يوما — نعم كنتُ أهواك

ساتني — اذكري ، اذكري يا يوما اذ سافرتُ من عامين ، وكنتِ تجرين بجانب السفينة على الشاطىء لتودعيني ما أمكنك المسير . يخيل لي الآن أني أرى قدميك الصغيرتين وهما عاريتان ، وأسمع وقعهما على الرمل وهما مسرعتان . ولمَّا شحطت السفينة ، أتذكرين ، ولبث القوم يدفعون قاع النيل ، ليدفعوا السفينة الى وجه الماء وهم ينشدون ، أخذتِ أنت تصفقين وتناديني . ولمَّا عوّمتْ السفينة ، وصاح القوم صيحة الفرح ، حزنتِ أنت ، وسكنتِ مكانك وقد تولاكِ الجزع ، وشعرتُ أنك تبكين . ثمَّ صعدت الى الجسر وأشرت اليَّ بيديك اشارة الوداع ، وأخذ جسمك الصغير يتضاءل للنظر كلما ابتعدت السفينة ، حتى حجبتكِ عنا غابات النخيل . أتذكرين ، أتذكرين انك وعدتني بانتظاري حتى أعود ؟

يوما — وقد انتظرتك

ساتني — أتذكرين اذ اتفقنا على مكان نبني فيهِ داراً تجمعنا ، أتذكرين ؟

يوما — نعم

ساتني — وهل تفضلين على دار الحبيب طمي النيل ؟

يوما — طمي النيل مقدس ، والنيل مقدس تسع مرات . فهو أبو مصر ، وهو منبت النبات لانسانها وحيوانها ، وخير الزرع ما سقي ماؤه ، وهو يشرب ماء العيون

ساتني — سأكشف عنك جهالتك يا يوما ، فإنهم يعدونك ضحية لأكاذيبهم

يوما — يا للآلهة ! اتقِ غضبهم الشديد

ساتني — اني لا أخشاهم ، فهم لا يستطيعون شيئاً

يوما — كيف تزعم ذلك ، وأنا شاعرة بقوّتهم الخفية في نفسي ، وحبهم أمكن في قلبي من حُبّ البشر . اني كنت أحبك يا ساتني الى اليوم حبًّا لا يعادلهُ حب في الأرض ، حتى كان يخيل لي أن أنفاسك ترسل الحياة الى نفسي . وما زلتُ الى هذا الصباح ، أخشى أن تصطفيني الآلهــة فتفرق بيننا . فما الذي حوّل قلبي اذن هذا التحويل ، ومن عساهُ يكون سواهم ؟ كنتَ لي كل شيء ، فأصبحت الآن لا تُعد شيئاً مذكوراً في عيني . كنتُ أرتعد اذا رأيت عقرباً ، وأبكي اذا أدمت أناملي أشواك التين ، والآن لا أهاب الموت وهو يطلبني . فكيف يكون ذلك اذا لم تشأه الآلهة ؟

ساتني — اصغي لي لأقنعك

يوما — لن تزيدني أقوالك الاّ اعتقاداً بمكانتي اذ اصطفاني الإله

ساتني — انما اصطفتكِ الكهنة

يوما — الأمران سواء ، فصوت الكهنة صوت الآلهة

ساتني — هذا ما يدّعون . وما كانت آلهة مصر لتكون ، لولا أنهم ابتدعوها

يوما — لقد ذهب القوم الذين كنت بينهم بعقلك « تتبسم تبسُّم إشفاق » من يستطيع أن يكفر بآلهة مصر ؛ تدبّر يا ساتنى ما تقول

ساتني — هذه الآلهة غير موجودة ، ولا دار عليين ولا درك أسفل ولا جحيم

يوما — ها ها . لقد فقدتَ الصواب بلا ريب يا ساتنى . أتنكر الجحيم ؟ ولكننا نعتقد بوجود الجحيم

ساتنى — كيف ذلك ؟

يوما — ألا ترى الشمس اذا مالت للغروب احمرَّ لونها لتعرُّضها للهيب الجحيم عندما تعلوهُ . هلاَّ نظرتَ فيأتيك بصرك باليقين ؟ . « تضحك » آلهة مصر لا وجود لها !

ساتنى — نعم لا وجود لها. وما معابدنا الاَّ مرابط للأنعام والماشية من كل حيوان قذر حقير ، أو منازل لأنصاب وأزلام لا تسمع ولا تعي فكيف لها تعبدين؟ صدقيني يا يوما فما عهدتني من الكاذبين . اني أهواكِ ولا أودّ أن أراكِ من الهالكين . وما افتداؤكِ أكاذيبهم بنافعهم شيئاً ، وما تضرّين الاَّ نفسك لو كنتِ تعلمين . وما كانت مياه النيل طالبةً ضحيةً حتى تفيض فيضها العميم . وسواءٌ قُدّمتِ لها فداء أم لم تقدّمي فهي فائضة ، تلك سنّة النيل من قديم . لا تذهبي ضحية لأكاذيبهم يا يوما وار بأي بنفسك أن تكوني من الخاسرين . اني لا أقوى على بُعدك فمن لي بمن يقنعك باليقين ؟ أتذكرين اذ سرتُ في طريقهم وبهِ جعرانان ميتان ، ولم أتنحَّ عنهما ، أأصابني أذى ، أم أدركتني على زعمهم المنون ؟ أليس في بقائي حيًّا بين يديكِ برهان مبين ؟ اني أكاد أفقد صوابي اذ أراكِ معرضة عما أقول، ففيمَ تفكرين ؟ أين عقلك ، أين فهمك ؟ ألا تسمعين ؟

يوما — اني لا أسمع الاَّ صوت قلبي

ساتنى — وسأنجو بكِ بالرغم منكِ

يوما — وكيف ذلك ؟

ساتنى — أحول بينهم وبينك بالقوّة

يوما — وبأي حق تحول ؟

ساتني — سأنبئك بهِ بعدُ فلا تعارضين

يوما — ان فعلتَ نزعتُ حبكَ من فؤادي

ساتنى — لا يعنيني شيء بعد اذ تنجين

يوما — ولكني أنتحر

ساتنى « يقبض عليها بكلتا يديهِ » — ويلك ألا تعقلين ؟ ما هـذا الثور وهذا

العسِنت وابن آوى الاَ أوثان !

يوما — ولكن آبائي كانت تعبدهم

الواقعة الثامنة

« تدخل الجموع . رحيو وكان مختفياً وراء عمود في نهاية المنظر السابق يتقدم نحو القادمين »

أصوات « رجال » — يوما ! يوما !

أحدهم — الى السطح !

آخرون — الى السطح ! لتصعد الى السطح

أحدهم — ولترفع ذراعيها الى السماء ، اشارة الى قبول الفداء

ساتنى « الى يوما » — ابقي مكانك ، سنهرب معاً

يوما « بسرور واشراق » — انهُ اصطفاني من بين أترابي

الجميع — يوما !

ساتنى — انها رافضة ، انها رافضة ، وسأذهب بها

الجميع — كلا ، كلا . الى السطح ! الى الصلاة ، الى الصلاة !

رحيو — تقدمي للصلاة يا يوما

ساتنى — انها تأبى

رحيو — لا تعترضها ، أطلق لها حريتها

ميبريس — اختاري لنفسك يا يوما بين عبد ومعبود

رحيو — بين مجد الفداء . . .

ساتنى — بل بين الأفك و بيني

يوما — قد اختارني ربي فداءً لقومي

ساتنى — انكِ تسعين للموت

يوما — بل الى الحياة الحقة الخالدة ، الى الحياة في ملكوت الآلهة

ساتني — انهم كاذبون

يوما — صه . . .

ساتني — سأنجو بك بالرغم منك

(تصعد يوما الى السطح وتستقبل مستقبلة الشمس الغاربة وترفع يديها الى السماء . يهلل القوم تهليلاً كبيراً . فيصيح ساتني بأعلى صوته)

ساتني — اسمعوا يا قوم اني هاديكم الى آلهة خير من آلهتكم . الى آلهة في غنى عن الضحايا

الجميع — انها آلهة كاذبة

ساتني — انها خير من هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون

الوكيل — اسكتهُ يا رحيو ، اسكتهُ

رحيو « بصوت منخفض » — بل دعهُ يتكلم ، دعهُ يتكلم

ساتني — اني جئتكم لأكشف عنكم غطاءكم ، وأذهب عنكم جهالتكم . ولأدمر أوثانكم ، وأحطم أصنامكم . جئتُ لأهديكم الى الحق ، وأرشدكم الى صراط مستقيم أفتعبدون ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أفٍّ لكم ولما تعبدون[1]

رحيو « الى وكيله عندما يراه يقترب من ساتني ليسكتهُ » — دعهُ يتكلم

(بينما ساتني يتكلم ينصرف القوم عنه وتذهب ميريس يوما وتنزل الستار وساتني لا يزال يتكلم)

---

(١) ما أشبه هذا الموقف بموقف ابراهيم عليه السلام في قومه وقد ورد ذكرهُ في القرآن الكريم «إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ . قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ . قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ . . . لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ» (سورة الأنبياء آيات ٥٣ — ٥٥ و٦٧)

الفصل الثاني

« هيئة المسرح كما في الفصل السابق »

الواقعة الأولى

« رحيو ثم الوكيل . عند رفع الستار يكون رحيو وحده فيدخل عليه الوكيل قادماً من الخارج »

رحيو — ماذا رأيتَ ؟

الوكيل — انهم يهيئون معدّات الاحتفال

رحيو — في المعبد ؟

الوكيل — في المعبد

رحيو — لعيد المعجزات ؟

الوكيل — لعيد المعجزات

رحيو — ويظنّ الكهنة أنهم قادرون على الاحتفال بهِ غداً ؟

الوكيل — لم أرَ منهم ما يُشعِرُ بالعدول عن ذلك

رحيو — وهل يستطيعون الاحتفال بدون يوما ؟

الوكيل — لا أدري

رحيو — لا ريب أنك واهمٌ يا صاح فهل ذهبتَ الى النيل ؟

الوكيل — نعم يا مولاي

رحيو — وماذا رأيت ؟

الوكيل — رأيت السفينة المقدسة ووجدتهم يتممون تهيئتها

رحيو — لا أفهم شيئاً مما يقولون

الوكيل — ولا أنا يا مولاي ، وقد علمتُ أن بعض الجنود تمرّدوا ، وأبوا أن يذهبوا

ثانية لتنفيذ ما أمروا به أمس

رحيو — أبوا ؟

الوكيل — نعم

رحيو — وماذا يقولون ؟

الوكيل — يقولون انهم خائفون

رحيو — وممَّ يخافون ؟

الوكيل — انهم يخافون من ساتني

رحيو — ساتنى ؟

الوكيل — نعم، ويقولون ان معجزة الأمس من فعله

رحيو — كيف ذلك، وماذا يقولون ؟

الوكيل — يقولون أنهُ هو . . .

رحيو — أنهُ هو ساتنى ؟

الوكيل — نعم

رحيو — وأنهُ صاحب المعجزة ؟

الوكيل — نعم

رحيو — المعجزة التي حالت دون الجنود ودون أن ينفذوا أمر رئيس الكهنة ؟

الوكيل — نعم

رحيو — يقولون ذلك ؟

الوكيل — كل القوم به يتحدثون

رحيو « بعد اطراق طويل وتأمُّل » — حسناً، وقد آن أن تعرف حقيقة الأمر، فتستطيع أن تبلغهم اياها : ألا فاعلم أن ساتنى تثقَّف في البلاد التي رحل اليها، فعرف أموراً كثيرة، ووقف على أسرار كبيرة. اقترب منى وأعرني سمعك.

انهُ يدعو الى آلهة غير آلهة مصر وأقوى منها سلطاناً . ولعلك تذكر أنَّ أبي وأمنحوتبْ فرعون مصر كانا يقولان مثله، وكانا يريدان أن يكشفا لنا عن هذه الأسرار ، لولا أن منعوهما كما تعلم . ويظهر — أما أنا فلا أدري، فإن ساتني ما زال يكرّر عليَّ ذلك منذ حضر الى المدينة أي منذ شهرين — يظهر — وسترى أن ما يقولهُ ساتني جدير بالاصغاء — قلتُ لك يظهر أن الأوان قد آن لظهور هذه الآلهة الينا . وكأني بها وقد آتت ساتني سلطاناً فوق قدرة البشر ، وهذا لا ريب فيهِ . ولم يبق أحد لم يؤمن بهِ . ألا تراهُ لما أراد أن يحتفظ بخطيبتهِ وهي عروس آمون ، لم يستطع أحد مقاومته . وما أخطأ الجند الليبيون اذ قالوا انهُ هو الذي أطلق الرعد فأرسل عليهم الصاعقة ، وفتح فوق رؤوسهم ميازيب السماء ، لما أتوا بأمر فرعون وكهنتهِ ، ليخلصوا يوما من يده

الوكيل — ويقول الشيوخ منّا انهم لم يسمعوا الرعد الاَّ مرة واحدة في حياتهم

رحيو — بلّغ القوم جميعاً ما قلتهُ لك ، وأبلغهم أيضاً أن مَن يحاول معارضة ساتني فيما يفعل ، فجزاؤهُ أن يصيبهُ ما أصاب الجند أمس من الرعب فتفرّقوا . وقُل لهم ان روح فرعون السابق قد حلَّتْ في جسم هذا الفتى . واني قد رأيتُ أبي أمس في الرؤيا، وان مصر سترى من عظيم الحوادث ما لم تر

الوكيل — سأقول ذلك

رحيو — وها قد أقبل رسول الآلهة الجدد ، فدعني أكلمهُ . واذهب فأعد على القوم ما سمعتهُ

(يخرج الوكيل ويدخل ساتني قادماً من الخارج)

الواقعة الثانية

« ساتني - رحيو — يركع رحيو أمام ساتني »

ساتني « يلتفت وراءهُ » — لأي إله أيضاً تركع ؟

رحيو — أركع لك . فإن لم تكُ إلهاً ، فأنتَ روح إله

ساتني — لا أفهم ما تقول

رحيو — لا يستطيع الاّ رسول الآلهة أن يرسل من السماء ناراً متى شاء

ساتني — ولكنني لست . . .

رحيو — كفى كفى . أتريد أن نكفر بك وننكر معجزاتك ؟ وضح الحق أمس فلا سبيل الى اخفاء سلطانك . فلا تقصر هداك بعد يا ساتنى عليَّ وعلى ميريس ويوما وأهل بيتي وعشيرتي ، بل لك الآن أن تدعو القوم جميعاً فقد استرعت معجزاتك القلوب والأسماع

ساتني — لندع هذا ، واستقم يا رحيو ، وخبرني ماذا أصاب يوما ؟

رحيو — يوما ؟ انها ظنّتْ أولاً أن زمجرة الرعد اشارة على غضب آمون عليها

ساتني — أما زالت تعتقد بآمون بالرغم مما علّمتها ؟

رحيو — ولكنني حولتُ معتقدها ، وأفهمتها أن العناصر في خدمتك ، وأن ما أزعجها لم يكن الاّ من علامات قوّتك

ساتني — ولمَ تكذب عليها ؟

رحيو — انني لم أكذب . ومع ذلك فقد فرحت بما علمت . ولو كنت رأيتها . . .

ساتني — كفى . اذن خاب أملي في ارشادكم ، وأنا أجهد نفسي معكم منذ شهرين

رحيو — أتذكر منذ تركتنا أمس صباحاً . . لقد تركتنا وأنت تعتقد أنك طهّرت نفسها من الخرافات ، فكنت تتكلم وهي لا تجيبك . صامتة لا تقوى على

معارضتك ، حتى ظننتَ أنك نزعت منها الاعتقاد بآمون . فما كدت تبرح حتى آوت هي الى خلوتها ، وثار ثائرها كأن شيطاناً تولاّها . فأخذت تبكي وتصيح ، وتضرب الأرض بقدميها ، وتقطع شعورها

ساتني — وماذا كانت تقول ؟

رحيو — كانت تصيح قائلة : الى الهيكل ، الى الهيكل . أريد أن أذهب الى الهيكل . ان الإله اصطفاني ، وهو في انتظاري . ومصر سيقضى عليها . ثم تقول عبارات متقطعة لا يفهم لها معنى ، وأخيراً حاولت أن تنتحر

ساتني — تنتحر ؟

رحيو — نعم . وقد ردوها عن عزمها ، وما هدأتْ وعرفتْ أن آلهتك أقوى من آلهتها ، حتى أخذتها الى هذا المكان ، وأريتها الجنود المرسلة لأخذها ، وقد بددتهم الصاعقة ، وشتتهم الرعب . فصارت تقول : عجباً ! أهو ؟ هو حبيبي ساتنى هزّ السماء والأرض لأجلي : لأجلي أنا ! . وهي تريد الآن أن تقبّل نعليك ، وتقدم لك قرباناً وتعبدك دون آلهتها . وها هي قادمة مع ميريس فابقَ أنت

ساتني — كلاّ

(يخرج ويصحبه رحيو قليلاً ثم يعود فتدخل ميريس ويوما)

ميريس « الى يوما » — أهو هنا ؟

يوما — كلاَّ

ميريس — دعيني اذن « تخرج يوما »

الواقعة الثالثة

« رحيو — ميريس »

(ميريس وحدها . تقدم خطوات غير مطمئنة نحو تمثال ايزيس فتقترب منه وتمسه . سكوت)

ميريس — ما أنتِ الاَّ من خشب ! . . .

(تطرح ذراعيها علامة اليأس وتبتعد ببطء تاركة الزهور تتساقط من بين يديها وتبكي)

رحيو — ماذا أرى ؟ ميريس ! أما زلتِ تأتين بزهور لايزيس ؟

ميريس — ستكون هذه آخر مرة . اسمع، يجب أن تطلب من ساتني أن يشفيني . لا تقل انهُ لا يستطيع ، فقد شفى أمرْستي

رحيو — شفى أمرستي

ميريس — نعم . وسقاها شراباً فيهِ شفاء ، أذهب من جسمها العلل

رحيو « مصدقاً » — أيستطيع ؟

ميريس — لقد رآهُ القوم ، وكِتْوَي أيضاً

رحيو — ما بالها ؟

ميريس — كتوى المقعدة استطاعت أن تسير على قدميها هذا الصباح . فذهبت وملأتْ جرَّتها من النيل . وقد أخذتْ جيرانها الدهشة وعمَّهم الفرح لمَّا رأوها . وكيف شفيت ؟ انما مسَّتْ فقط طرف ردائه بدون أن يشعر . ثم انهُ شفى ابن ريتي . انهُ يعرف آلهة أقوى من آلهتنا ، آلهة ربما كانوا فتياناً ، أمَّا آلهتنا فقد طال عليهم القدم . والاَّ فخبرني كيف استطاع يوم قدومهِ ، أن يسير في طريق بهِ جعرانان ميتان دون أن يصيبهُ سوء ؟ وهو لا يزال مذ حلَّ بيننا ، يفعل ما ينهي عنهُ الدين ، ويحقر آلهتنا . فلو لم يكن مؤيَّداً بسلطان أقوى من سلطانهم ، لأصبح منذ حين في الغابرين . فمن

هُم آلهته ؛ ليفصح عنهم ، لعلّ القوم بهم يؤمنون

رحيو — سألتهُ فأنكر

ميريس — لماذا ؟

رحيو — لأنهُ لا يعتقد بوجود آلهة مطلقاً

ميريس — لا يعتقد بوجود آلهة مطلقاً ؛ انهُ يهزأ بك

رحيو — ربما كان مضطرًّا الى كتمان سرّهم

ميريس — أتدري يا رحيو أن أمرستي التي حدثتك عنها ، ما زالت منذ سنتين ، تبتهل بجانبي كل عام في يوم المعجزات الى المعبودة ايزيس ، تلتمس منها الشفاء ، فلم يُجب لها نداء

رحيو — نعم . وهو يقول انهُ كان يستطيع أن يشفي كل مَن شفتهم ايزيس

ميريس « لنفسها » — بل يستطيع فوق ذلك أن يشفي مَن تركتهم ايزيس .

« تسكت قليلاً » ليعلّمك يا رحيو تلك الكلمات التي يستطيع بها عمل المعجزات

رحيو — سألتهُ فأبى

ميريس — أكرههُ على ذلك

رحيو — انهُ يقول ان هذه الكلمات لا وجود لها

ميريس — هددهُ بالاعدام فيتكلم

رحيو — لا أستطيع

ميريس « بحدّة » — انك لم تعاذن ما قلتهُ . لقد شفى أمرستي وشفى كتوى ، فلِمَ لا يشفيني أنا ؟

رحيو « بتألُّم » — آه يا ميريس . أتظنين اني كنت أنتظر رجاءك حتى أرجوه ؟

ميريس — اذن كلمتهُ . وماذا قال لك ؟

رحيو — لم يقلْ لي الا هذه الكلمات : لو كنت أستطيع شفاء ميريس ، لأبصرت عيناها من حين

ميريس — ما من شيء يستحيل على الآلهة فعله . وآلهتنا على كل شيء قديرة ، فما بال آلهتهُ وهي أقوى سلطاناً. ان لم يجبك الى ما التمستهُ ، فألحَّ عليهِ ، مره بل هدّدهُ واكرههُ على ما تريد . لك الأمر والنهي عليهِ ، وما هو الاَّ ابن صانع فخّار من عبيدك . فاقرعهُ بالسوط حتى يصدع بأمرك . افعل بهِ ما تشاء فحياته في يديك . ارهبهُ . بل رغّبهُ . اعرض عليهِ حقولنا ونخيلنا ، قدّم لهُ ماشيتنا وأنعامنا ، ضع بين يديهِ جواهرنا وحُلينا ، قل لهُ اننا نؤمن بهِ إلهاً حيًّا قادراً على كلّ شيء . فليشفني . أريد الشفاء ، أريد رؤية الأشياء ، أريد الإبصار « بغضب » ولكن أنت لا تدري قيمة البصر ، لأنك مبصر . ولا تقدّر نعمة النور ، لأنهُ يملأ عينيك . ولا تدري مقدار مُصابي ، لأنك لا تشعر بهِ . نعم انك ترثي لبلوتي ، وترقّ لحالي ، وتظن أن ذلك جهد استطاعتك فلا تملك فوقهُ أمراً . كلاَّ كلاَّ . ولكن لا لا ، لقد أخطأتُ وظلمتك يا رحيو فسامحني. ان شدة المصاب أفقدتني الصواب . تصوَّرْ ألم الأعمى ، وقد وُلد أعمى وحُرِم لذة المشاهدة ، وبجوارهِ قوم يبصرون . اني أغبط أحقر رعاة ماشيتك ، وأفقر ناسجات بُردك ، على نعمة البصر . فاذا سمعتُ أحداً منهم يشتكي من دهرهِ ، لا أستطيع كفّ يدي عن ضربهِ على بطره ، اذ أرى كل النّعم لا تعادل نعمة بصره . ويخيل لي أنكم معشر المبصرين في نعيم دائم ، وأنهُ يجب عليكم أن لا تكفّوا عن التسبيح وشكر الآلهة على ما منحتكم « بشدة » البصر ! ولا أدري ما هو ، ولا أستطيع أن أتصوَّر كيف تبصرون الأشياء ، دون أن تلمسوها ، وتعرِفون الأشخاص ، دون أن تسمعوها ، وتدركون الشمس ، دون أن

يصيبكم شعاعها ، وتتعرَّفون الزهور قبل أن يصل اليكم عبيرها . يقولون ان الزهور جميلة فيا ليتني كنت أراها أيها الحبيب . وكم أكون سعيدة يوم أرى وجهك ، لأتبين فيهِ صورة ولدنا الذي فقدناه . أو لتشير لي الى مَن يشبههُ بين الأطفال فأراهُ . مصابي بكفافي مصاب مزدوج ، فما أشد ألمي ! أوَّاه ما أشدَّ ألمي ! « ترتمي بين ذراعي زوجها » ان لم أجد بدل الأمل الذي فقدتهُ في آلهتي أملاً بشفائي . فلا أدري ما أنا فاعلة . ولأذهبنَّ ذات ليلة ملتمسة الجدران والأشجار ، تدلني يداي ، وتقودني قدماي ، حتى أبلغ النيل ، فألقي بنفسي فيهِ لأموت

رحيو — حبيبتي ، حبيبتي ، ما هذا الكلام ؟

ميريس — لقد أقبل ، وأسمعهُ يتكلم ، فلأتركنَّكَ معهُ . بل قدني الى مخدعي وعُدْ اليهِ . وان كنت تهواني فلا تنسني لديهِ . نجّ امرأتك يا رحيو

(تدخل المنزل يقودها رحيو فيدخل ساتني يتبعه نرم وسوكتي وبتيو)

الواقعة الرابعة

« ساتني — نرم — سوكتي — بتيو »

نرم — نعم نعم . أنتَ قادر مقتدر ، فاجعلني غنيًّا . لقد طال عليَّ الأمد ، وأرهقني ضرب السياط . أريد أن أكون غنيًّا ، لأضرب بالسياط مثلما ضربوني . ولا يكلفك ذلك الاَّ كلمتين ، فلا تبخل بهما

ساتني « بقسوة » — دعني فلستُ بساحر

سوكتي — أما أنا فلا أطلب مالاً مثل هذا الأحمق يامولاي . فدعهُ واستمع لي أنا ، اني أريد منك أن تميت خميساً ، فانهُ سلب مني الفتاة التي كنت أهواها وأريد الزواج بها . « يدفعهُ ساتني فيتمسَّك بأذياله وهو يبكي » الرحمة الرحمة

يا مولاي ، لقد سلب مني روحي فافقدهُ روحه من فضلك

ساتني — دعني

سوكتي — أجب ندائي

بتيو « يتداخل بينهما ضارباً سوكتي » — انصرف من هنا ، انهُ لا يريد أن يراك « يخرج سوكتي » اسمع يا مولاي . أنظر كيف صرفتهُ . مُرني أضرب لك مَن تشاء ، ولكن استجب دعائي . أريد أن يستقيم عودي فيعتدل قوامي ، وتقوى قدماي على حملي مثلك . وعندي في مخبأ مكين ، ثلاث أساور من ذهب ، سرقتها منذ حين ، فأعطيك اياها أجراً ، وأزيدك شكراً

ساتني — اذهب بها لرئيس الكهنة

بتيو — لقد أعطيتهُ أربعة مثلها ، فلم يفعل لي شيئاً

(يقترب نرم وسوكتي ولكن يدخل رحيو فيهربان ويتبعهما بتيو منزعجاً فيقع فيقوم ويقع حتى يختفي)

الواقعة الخامسة

« رحيو — ساتني — نم يوما والوكيل »

رحيو — ماذا يريدون منك ؟

ساتني « الى رحيو » — انهم يتبعونني الى هنا ، ويظنون أن لي قدرة فوق قدرة البشر ، ويطلبون مني المعجزات

رحيو — أو لم يروا منك معجزتين ؟

ساتني — حاشا أن أكون أتيت بواحدة

رحيو — بلى وستأتي بغيرهما ، ونشفي زوجتي ميريس

ساتني — ليس في وسع أحد شفاؤها ، لا أنا ولا غيري

رحيو — اذن فعدها بالشفاء ، ولا تنزع من قلبها الأمل

ساتني — وكيف أستطيع الوعد بما لا أملك ؟

رحيو — قل لها انك ستدعو ربك ، وأن قد يأتي يوم . . .

ساتني — لا ربَّ لي أدعوهُ . ولو كان لهذا العالم رب ، فهو عظيم القدر ، عالي المكانة ، بعيد عنا ، لا يشبهنا في شيء ، فلا تصل اليهِ أصواتنا . وهل تظن أن عملاً من أعمالنا مهما عظمت ، أو صلاة من صلواتنا مهما خلصت ، يؤثر على مشيئة ذلك الرب ؟ اذن لو اعتقدتَ بوجوده ، ثم جعلتهُ خاضعاً لارادة عبيده ، لكفرتَ بهِ من حيث تؤمن ، وأنزلتهُ منزلة تأباها عظمته وكرامته

رحيو — ولكن آلهتنا على الأقل لا تغلق دوننا باب الأمل

ساتني — ابقَ عليها اذا شئت

رحيو — لقد زعزعتَ في قلب ميريس الإيمان بها

ساتني — أوآسف أنتَ على ذلك ؟

رحيو — لم آسف للآن ولكن . . .

ساتني — ماذا تعني ؟

رحيو — أعني أنهُ يحسن بك ، أن لا تقطع رجاء ميريس من رد بصرها اليها ، وان كنت واثقاً أنهُ لا يعود ، بل منّها بهِ

ساتني — لئن منّيتها لاضطررتُ أن أمنّي غيرها بما يرجوه . أفترى اذا كان طفلٌ مريض استطعتُ بما أوتيتُ من العلم أن أشفيه ، وكان ذلك أمراً ميسوراً ، أو أن امرأة وهمت انها مريضة ، فمسَّتْ طرف ردائي ، فظنت أنها شفيت ، وكان ذلك مقدوراً ، أ أدعى أنا أني من القادرين ، وأحط بنفسي الى منزلة الكهنة والساحرين ؟ . لقد كان ورائي الآن قطيع من البؤساء يضرعون ، ويزعمون أني نبي أو رسول أو إله مما يعبدون ، وأن لي من القدرة ما أستطيع بهِ شفاء مرضاهم ، وتحقيق آمانيهم ، وكثيراً ما يزعمون .

أكان فرضاً عليَّ اذن أن أخدعهم جميعاً وأوافقهم على ما يدَّعون ؟ . لقد أتيت مُكذّباً لما بين أيديهم ، أفأكون أنا أيضاً من الكاذبين ؟

رحيو « بحدَّة » — ها ها . أنت لا تريد أن تكذب . لا تريد أن تكذب على المساكين ، لتخفف من شقائهم . لا تريد أن تكذب على ميريس ، لتبقي على بعض آمالها . لا تريد أن تكذب على أحد ؟

ساتني — قط

رحيو — اذن فلتنزل « يُنادي جهة اليسار » يوما . ائتوني بيوما . « الى ساتني » وتلك أيضاً لا تكذب عليها ؛ اذن فاذا أتتك ، فلتقل لها انك من البشر مثلنا ، وانك لم تمنح قوَّة فوق ما لنا ، وانك لم تأتِ أمس بالمعجزة التي هالتنا وسترى اذا صدقتك انها مسلّمة نفسها للكهنة أو منتحرة ، فما أنت صانع ؟

(تدخل يوما وتود أن تركع أمام ساتني فيمنعها وفي تلك اللحظة يدخل الوكيل ويلقي كلاماً في أذن رحيو فيضطرب رحيو ويقول)

رحيو « للوكيل » — وهل أقبل ؟

الوكيل — نعم بذاته

رحيو — اذن فهذا أمر من فرعون

الوكيل — نعم

رحيو — ويلاه ! « يخرج مع الوكيل »

الواقعة السادسة

« ساتني — يوما »

ساتني — ما بكِ . ومالي أراكِ حزينة ؟

يوما — انك سترغب عني ، وقد ظهر انك إله

ساتني — اطمئني فلستُ بإله

يوما — ان لم تكن إلهاً فأنتَ منهُ قريب . وما تتزوَّج الاَّ من بنات فرعون

ساتني — ستكونين زوجتي

يوما — أو تقسم ؟

ساتني — نعم

يوما — اقسم بآمون « ترجع في قولها » بل بربك

ساتني — ولكن ربي لا شأن لهُ فيما بيننا

يوما — اذن مَن يتولاَّنا ؟

ساتني — لا يتولاَّنا أحد

يوما — انك تكتم السرّ عني . أتظنني فتاة ساذجة ، أم تهزأ بي ؟

ساتني — ويحك لا هذا ولا ذاك ، وما حاجتك الى قسم وأنا أهواكِ وسأتخذك زوجاً !

يوما « مشرقة » — أأكون زوجتك ؟ أأصبح أنا يوما الحقيرة زوجة رجل يأمر السماء فتنقضّ ؟ « تسكت قليلاً » كلما تذكرتُ أنك أطلقتَ الرعود لأجلي ...

ساتني — كلاَّ أيتها المغرورة . اني لم أطلق الرعد

يوما — حسناً ، حسناً ، لقد فهمتُ . أنتَ لا تريد أن يعلم الناس أنك عثرتَ على كتاب الحكمة ، كتاب توت . اطمئن ، سأكتم الأمر « تضع ذراعيها حول عنقه وتقترب منهُ مُداهِنةً حتى يكاد وجهها يلمس وجههُ » . خبرني كيف وجدتهُ ؟

ساتني — لم أجد هذا الكتاب وما بحثتُ عنهُ ، وما احطتُ برموزه السحرية علماً ، وما كان لو وجدتهُ بنافعي شيئاً

يوما — اجلس ، ألا تريد أن تجلس ؛ يقال ان هذا الكتاب موضوع في ثلاثة

صناديق مدفونة في قاع البحر

ساتني — لقد قلتُ لكِ اني ما وجدتهُ ولا بحثت عنهُ

يوما — اذن فما الذي صنعتهُ حتى أرسلتَ من السماء ناراً ؟

ساتني — لم أرسل ناراً من السماء

يوما — عجباً ! اذن لا أهواك « ثم تقول بخلاعة » كلاَّ بل أهواك ، أهواك ، « تسكت قليلاً » اذن لمَّا سافرتْ بك السفينة كان يعجبك منظري وأنا أجري حافية القدم وراءها على الشاطىء

ساتني — نعم

يوما « بغضب » — تكلم تكلم . « تداعبهُ » أما خنقك البكاء اذ ذاك ؟ لا ؟ بلى وقد بحت لي بذلك . أما أنا فلا أدري ، لأني لم أرك اذ ذاك . ولكني رأيتك لمَّا عدت ، وعلمتَ أني اصطفيتُ لأكون قرباناً للنيل ، رأيت وقتئذٍ عينيك . . . انك تحبني . . . وقلت انك تحول بيني وبين النيـل ، فما صدقتك . حتى بالأمس أيضاً ، وبالرغم من أقوالك ، كنت عازمة على أن أهرب وأذهب الى الهيكل ، فلما تجلت علينا مقدرتك آمنت بك وبقولك . أما هززتَ السماء والأرض لأجلي ؟

ساتني — كلاَّ

يوما — عُدْنا . أراك لا تثق بي . أتظن اني أبوح بما توصيني بكتمانه ؟ « تضع يديها على خدَّي ساتني » أمَا أنت ؟ . . .

ساتني — قلت لكِ كلاَّ . وألف مرة كلاَّ

يوما — اذن فهي آلهتك ، آلهتك التي لا أعرفها

ساتني — كلاَّ

يوما — اذن فمن ؟

ساتني — لا أحد

يوما « مستاءة » — آه « سكوت » اذن فليست قدرتك فوق قدرة باقي البشر ؟

ساتني — كلاَّ

يوما « يائسة » — كأني بك تقول الحق ؟

ساتني — ولا ريب فيهِ

يوما — ما أشقاني !

ساتني — لماذا ؟

يوما — كان ذلك أشهى « سكوت طويل » ولكن الصعود الى السفينة المقدسة في النيل أشهى الى قلبي وأحلى !

رحيو « متأثراً » — ادخلي يا يوما « الى الوكيل » خذها الى مولاتها واخبرها بما صار « يخرج الوكيل ويوما »

الواقعة السابعة

« رحيو — ساتني »

رحيو — ساتنى ، بلغنى نبأ هائل : علمت أن فرعون لما شعر أن القوم انصرفوا عنهُ ، وأخذوا يكيدون لهُ ، أراد أن يكون البادىء بالشرّ ، فكنت أوّل منْ أصابتهم نَقمته . اذ صادرني في مالي ، وقضى عليَّ بالنفي من مصر . وقد أتى اليَّ كبير حاشيته حاملاً أمره ، يدعوني فيهِ أن أبارح داري ، وأسلّم نفسي للجيش المسافر الى الحبشة

ساتني — ألا تستطيع شيئاً ضد هذا الأمر ؟

رحيو — نعم أستطيع ، أستطيع قتل حامله

ساتني — أتقتل ؟

رحيو — اسمع . اني مرشدك الى وسيلة تروّج بها مبادئك ، وتخدم بها مصالحي فتحلّ مكاناً عليّاً . اني مسلّح كل رجالي وسأجعلك عليهم وليّاً . وسيطيعونك ما شئتَ اذ يعتقدونك إلهاً أو نبيّاً . لا تقاطعني واستمع . سيخشاك الجند فلا يعصون لك أمراً . فاذا قتلنا فرعون وكبير كهنته ، أصبح لنا مُلك مصر طرًّا

ساتني — لا أودّ القتل

رحيو — ليكن ما شئت . فاكتفِ بأن تنذرهم ، أنك مُعيد عليهم ما رأوه من معجزاتك الأولى

ساتني — ولا أودّ الكذب

رحيو — اذا كنت لا تود أن تقتل ولا أن تكذب ، فلا تمنّ نفسك يوماً أن تصل الى منصّة الأحكام

ساتني — اني جئت لأحارب الأفّاكين من كهنة آمون ، لا لأعمل ما يعملون

رحيو — لن تنتصر عليهم الاّ اذا حاربتهم بسلاحهم . فاغتنم الفرصة ، ولا تنكر ما يعتقده الملأ فيك من القدرة . واعلم بأنك اذا اقتصرتَ على التأثير على عقولهم ، دون أوهامهم ، لا يتبعونك ولا يستسلمون لك . أنت أكثر منهم علماً ، فلكَ عليهم سلطان . فاذا أردت أن تسمو بهم الى قمم المجد ، فاربط عيون مَنْ يعتريه الدوار منهم عند الصعود

ساتني — لا أستطيع

رحيو — كأني بك تخشى أن تسود عليهم ؟

ساتني — انك لا تهتم بسيادتي عليهم ، اهتمامك بشفاء غليلك ، وتحقيق مطامعك

رحيو — انهم يريدون أن يجرُّوا أهل مصر الى حرب ظالمة قاسية لا خير فيها والقوم متقاعدون . فلما علموا أنهم للقتال لا ينهضون ، أجّلوا رحيل الجيش الى يوم المعجزات ، اذ تنطق المعبودة بما يشتهون . فغداً تُساق تلك الجموع الى

الحرب سوق الأنعام . وأنت قادر على خلاص الألوف منها بتضحية بعض النفوس

ساتني — الحق يعلو بلا حاجة الى الكذب أو الدماء

رحيو — يستحيل . فان الجموع كالحسناء ، تخدعها الأباطيل . فاذا خدعتها أو قهرتها ، ملكتها

ساتني — كفاك ما قلتهُ فاقصر اللسان

رحيو — ما أنت الاَّ عنيد أو أعمى أو جبان

(تدخل ميبريس تقودها يوما)

الواقعة الثامنة

« رحيو — ساتني — يوما — ميبريس — ثم رجال شتى وبتيو وسوكتي ونرم »

ميبريس — رحيو . . . أين أنت ؟ . . « يوما تقودها نحوه » أصحيح ما علمتهُ ؟ أنُفيت وصُودِرت ؟

رحيو — نعم

ميبريس — تشجَّع ولا تجزع . أما أنا فلا فرق عندي بين قصر وكوخ

رحيو « الى ساتنى » — ألا زلت مصرًّا على اباءك يا ساتنى ؟

ساتني — لقد قلت لك اني لا أحب القتل

ميبريس — وأنا معك يا ساتنى ، القتل قبيح . . . ولكن أنا ، أنظر لقد أصبحت فقيرة ، وعن قريب سأرحل عن هذه الديار . فهل تنعم عليَّ بالشفاء ؟

ساتني « بارتباك » — لو استطعت لكنت فعلتهُ من حين يا مولاتي

ميبريس — اعلم انك قادر . انك قادر ، فأتِ بمعجزة

يوما — نعم ائتنا بمعجزة ، واثبت لنا أن ربك أعزّ من أربابنا . فاذا لم تفعل

فاني ذاهبة بالرغم منك ومن غيرك ، لأقدم نفسي للكهنة قرباناً أو أنتحر

رجل « داخلاً » — اشفنا . اشفنا

ساتني — لا أستطيع

رجل آخر — المعجزات طوع يديك

ساتني — لا معجزات

رجل — اذن فليست آلهتك بأعزّ من آلهتنا

ساتني — لا آلهة لكم

الرجال « يزعجهم كفره » — أوه !

رجل — لمَ تصرفنا عن آلهتنا ، ان لم تكن لديك آلهة أخرى مكانها ؟

آخر — لن نغفر لك تحقيرك آلهتنا

رجل — سنسلمك الى الكهنة ، حتى لا تقتص منا الآلهة اذ استمعنا لك

آخر — سيقتص منا آمون !

ساتني — كلاّ

رجل — ستتخلى عنا ايزيس !

ساتني — لا تسوء حالكم عما أرى

آخر — اذن فأثبت لنا أنك أقوى من آلهتنا

ميريس — بمعجزة

معاً رحيو — انهُ أقوى من آلهتنا

يوما — ائتنا بمعجزة أو دعني أموت

ساتني — أتريدون معجزة ؟ أتريدون معجزة ؟ حسناً ، فسترون معجزة عبرة للعالمين . هيا هيا ائتوني من حقولكم بكل مكبّ على الأرض بحرثها ، أو قائم على المياه يرفعها . هيا فائتوني بأرقائكم وأجرائكم ، وصنّاعكم البؤساء

وعمالكم ، وادعوا اليّ قاطعي الأحجار ، وحاملي الأثقال ، وارفعوا عنهم الأسواط ليخلصوا اليّ

ميريس — وما أنت صانع بهم ؟

ساتني — أرشدهم الى ما اختلقتم فيه

ميريس — مباغتة بلا تمهيد ؟

ساتني — نعم بلا تمهيد

رحيو — أتظنهم مستعدين لفهم ما تقول ؟

ساتني — أراك خائفاً

رحيو — كلا . ولكني أعلم أن النهار لا يعقب الليل على الأثر ، وأن بينهما شفق الفجر

ساتني — انما أريد أن أريهم نور الحق ساطعاً يأخذ سناه بالأبصار ، فتشرق عليهم شمس الحقيقة مهتكة الأستار . لا حجاب اليوم ولا أسرار . ومن الضلال ابقاء هذه الأمة في ظلمات الضلال ، وتركها تتعثر في أذيال آمالها ، ولن تتحقق تلك الآمال . تمنونهم بحياة أخرى ، لتسلبوا منهم نعيم هذه الحياة . وتستحلون كدّهم وأجرهم ، وتعدونهم جزاء أوفى باسم الله ؟

رحيو — انهم قوم فقراء ! . . .

ساتني — وهل كان علم الحق وقفاً على الأغنياء ؟ أما كفاكم أسر الأشباح فتودُّون أيضاً أسر الأرواح ؟ ها هم « يدخل تدريجاً عبيد وصناع شتى حتى يمتلىء بهم المرسح وفيهم باخ وسوكتي و بتيو القزم » ها هم ضحايا الجهل ، ها هم اخوان الشقاء . لقد عرفتهم ، فقد وسم الذل جباههم ، وأحنى الكد ظهورهم . أما أنت راعٍ ، أيطعمونك مثل ما يطعمون الأنعام التي ترعاها ، أم يثخنون ظهورها بالسياط التي طالما تصلاها ؟ انهم يحقرونك وأنت من البشر ، ويقدسون

ما ترعاه من الغنم والبقر . وأنت أيها الزارع ، تزرع ويحصدون ، وتجوع ويشبعون ، تقوم نهارك تحت شمس محرقة ، تطن في آذانك الزنابير ، وتهب في وجهك رياح لافحة ، كأنها زفرات السعير ، فتقطع سنابل القمح الغزيرة ، ثم تأوى ليلك الى حفرة حقيرة . فيأكل مواليك مما حصدتَ أكلاً شهياً ، وينامون على فُرُش ناعمة نوماً هنيئاً . وأنت يا رافع الماء من بطن النهر لريّ الحقول ، القائم على عمله من قبل السحر الى ما بعد الأفول ، أتراك أسعد حظاً من تلك الماشية ، التي شُدَّت الى الساقية ؟ وأنت يا نازع الأحجار من بطون الجبال ، لتقيم آثار مجد وجلال ، وحافر القبور في جوف الصخور ، وباني الأهرام لرفات وعظام ، أين تنام ؟ أما في العراء تحت القبة الزرقاء ؟ أوقفت حياتك على احياء ذكر مَن مات . فكانوا بك أحياء ، وكنت بهم في الأموات . وأنت يا مربي الأسود ليوم القتال ، أين أبوك ؟ أما افترسهُ الأسد ، فما بكاه أحد ؟ فويلكم يا قوم ، حتى مَ تقيمون على هذا الضيم ، كيف ترضون بالشقاء والكدّ مع الفقر والضعة ، ومواليكم لا يعملون وهم في عزّ وسعة ؟ لقد قالوا لكم ان رباً اسمهُ آمون رع يقول : اصبروا فلن يطول هذا الحَيف بكم ، اكثر من أيام حياتكم . . . يا للغفلة أبهذا تنخدعون . يقولون لكم : ما دمتم في هذه الحياة الدنيا فكدّوا واعملوا ، وليجن غيركم ثمرة ما تعملون . واصبروا على الجوع ، وأنتم غيركم تُطعمون . واحتملوا الأسى ، في سبيل مَنْ لا يرحمون . وناموا في العراء يا رافعي القصور والمعابد ، واقضوا فاقة يا صانعي السبائك وصانعي القلائد . وانظروا نعمة السعداء منكم ، ولا تغبطوهم على ما فاتكم ، فإن هذا الحيف لا يطول اكثر من أيام حياتكم . ثم اذا انتقلتم الى الأخرى ، وجدتم ثَمَّ وجدتم مُلكاً كبيراً وخيراً كثيراً . الاّ انهم من الكاذبين ، فلا تصدقوا ما يقولون ، فلا هنالك كما يدّعون برزخ أرواح ولا

دار عليين . ولا حياة لكم بعد هذه الحياة لو كنتم تعقلون . ولقد استعبدوكم بما أقاموا لكم من النُّصُب والأزلام ، وبما ألزموكم من عبادتها والسجود لها . يقولون لكم : اجثوا أمام هذا المعبود فهو منتقم جبار ، أو اسجدوا لذاك فهو كريم ستار . وألقوا في أفئدتكم أن آلهتهم ذوو بطش وسلطان ، ثم حجبوهم في هياكلهم لا يسمحون لكم برؤيتهم الاّ مرة في العام تغريراً بكم وارهاباً لكم . وعلّموكم أن ليس لأحد من البشر أن يمسّ صوَر آلهتهم ، وان مَن يمسّها يُصعق ، وسأريكم أنهم كاذبون . هاكم كبيركم آمون[1] ، أبو الآلهة كما يزعمون ، فسحقاً لهُ وليكن من الهالكين . ما أنت الاّ رجس من عمل الساحرين . فعليك لعنة الأوّلين والآخرين ، بما خدعتهم في آمالهم وما يرجون ، من فقير وأسير ومريض ومحزون . عليك لعنة الأجيال الأُولى ، بما بكت وأنّتْ وتحمّلت باسمك من البلوى . عليك لعنة المظلوم وقد أخرسهُ خوف بطشك ونقمتك . عليك لعنة الصابرين بما صبروا أملاً في رحمتك . عليك اللعنة بما أصابني منك قائماً ومن كهنتك ، وبما سيصيبني وقومي بعد زوال دولتك . فمت « يلقي في وجهِهِ معقداً فيحطمهُ » وأنتم يا قوم افعلوا مثل فعلي . تسلّقوا هذه القوائم ، أزيلوا هذه المعالم . لا تخشوهم فهم جماد

(١) آمون أو أمون رع معبود مصري قديم نشأت عبادته في طيبة حيث شيدوا له معبداً بها في عهد العائلة الثانية عشر ووسعته العائلات التالية لها حتى صار ذلك المعبد العظيم الذي نعجب اليوم بأطلاله الفخيمة في الكرنك . وكان الطريق من طيبة اليه محفوفاً بتماثيل الحملان اذ كان الحمل (الخروف الصغير) هو الحيوان المكرس لذلك المعبود حتى أنهم كانوا يربون أحد الحملان بمدينة طيبة ويعنون به ويعتقدون ان روح المعبود حالة فيه . ويمثلون آمون على الآثار تارة برأس حمل وأخرى برأس انسان وقرني حمل وعلى رأسه قرص الشمس (رع) وريشتان عظيمتان وفي احدى يديه صولجان وفي الأخرى علامة الحياة . وبنى له ملوك العائلة الثامنة عشر معابد في (نباته) عاصمة الحبشة اذ ذاك وفي واحة من واحات ليبيا سميت باسمه . وقد اعتلى الملك كهنة آمون بطيبة حيناً ثم خلعوا منه فأووا الى الحبشة حيث نشروا عبادة ربهم ثم عادوا لمصر وعظمت كلمتهم وتقوّى دينهم حتى ظهور المسيحية بمصر فزالت دولة الاوثان

لا يعقلون ، وحطّموهم فهم لا يشعرون . ابصقوا في وجوههم ، اصفعوهم ما هذا الآ طين !

(يهب القوم وكانوا يقاطعون ساتني بتمتمهم وأصوات استغرابهم فيقتربون من التماثيل ويفعلون فعله وهم يزأرون غضباً واستخفافاً . فاذا بدأ أشجعهم يمد يده الى الأصنام يتبعه الآخرون فيقلبون الآلهة عن مقاعدها)

رحيو — والآن اشواني مفتوحة لكم فخذوا منهـا ما تشاؤون « الى الوكيل » وليذبحوا لهم من غنمي ما يشبعهم اجمعين

(صياح وفرح ويخرج القوم متباطئين ، وفي أثناء ذلك يقترب بتيو من تمثال سافط مترددا وبه بقية خوف منه فيرفصه بقدمه ثم ينجو بنفسه فيقع فيقوم ثم ينظر الى نفسه فلما يتيقن أنه لم يصب بسوء يجلس على بطن أحد الآلهة ويرقص ضاحكاً)

بتيو — ها ها ها ، ها ها ها ، ها ها ها

(ثم ينظر تمثال ايزيس الصغير وقد أحاطته ميريس بذراعيها فيشير الى رجلين فيقتربان من التمثال)

يوما — مولاتي انهم يرومون أخذ ايزيس

ميريس « بجزع » — بل دعوها لي

رحيو — كلا يا ميريس

ميريس « تبتعد عنها » — خذوها . . . بل انتظروا

رحيو — ما بالك ؟

ميريس — أأستطيع أن أدَعها قبل أن أُودّعها . ان ساتني لمّا هاج سخطه على آلهتنا لم يُسمّها . أنظر اليها أنت الذي تستطيع أن تراها ، وتذكّر كم من الدموع قد سكبتها على صورتها . انها كانت منذ حلّتْ دارنا كأنها بعض أسرتنـا ، فكم عيون لامعة بالآمال ، تعلقت بعينيها المطفأتين كعينيّ . اني أُقدسها لا تقديس المعبودات وقد دالت دولتها ، لكن أُقدس فيها ذكرى الآلام التي رأتها ، والدموع التي تلقتها . . . صدقت لا بدّ من تحطيمها ،

ولكن لأودّعها « تخاطب التمثال » ايزيس انك لم تشفني ، ولكني كنت أجد العزاء في قربكِ . وعجباً كيف كانت ترتفع لك الأصوات من أعماق القلوب ، وأنت جماد لا يسمع ولا يعي ؛ لقد عبدك الناس لا لحياة ذاتية فيكِ ، ولكن لحياتكِ في قلوبهم ، وهي بعض حياتهم . فاذا مت اليوم ، فلأنهم سلبوا منك روحهم التي تعلقت بكِ . سأسلمكِ اليهم ليحطموكِ ، فسلاماً عليك بما منحتني من الصبر والسلوى ، وسلاماً عليك بما آتيتني من الآمال وان خابت ، وسلاماً عليكِ بما خففتِ عن قلبي من الهموم والأحزان ؛ « للرجال » خذوها وحطموها اذا شئتم ، ولكن باشفاق

(يذهبون بالتمثال)

ساتني « الى يوما وقد بقيت بعد خروج القوم » — انظري يا يوما ، قد ماتت الآلهة وأنا حيٌّ ارزق . انظري اليهم ، أتصدقينني الآن ؟

(تنظر يوما الى التماثيل المحطمة بحزن شديد ثم تجهش بالبكاء امام ساتني وهو مندهش)

الفصل الثالث

يمثل المرسح رحبة أمام دار صانع الفخار . على اليمين من وسط المرسح الى أقصاه طولا وعرضا جدران دار مبنية باللبن ، وفيها بابان أحدهما أصغر من الآخر ، وعلى أحد الجدران وهو قصير أوانٍ من طين معرضة للشمس لتجف . وعلى يسار المرسح جدار قصير يناله المتكىء . وفي صدر المرسح بين هذا الجدار والدار فرجة ينفذ منها الى طريق يؤدي للنيل ، ولا يرى المتفرج الطريق انما يرى ماء النهر عن بعد وضفته الاخرى وعليها نخيل ومزارع . ومن وراء الدار يميناً ووراء الجدار القصير يساراً نخل باسق . منظر الدار حقير والجو صاف وضوء النهار شديد

الواقعة الأولى

« كريبا — ساتني »

كريبا جالسة متربعة أمام رحاة من حجر صغير فوق حجر كبير تطحن عليها حبوباً من الذرة أمام باب الدار وساتني جالس على حائط قصير يفكر

كريبا — ولدي

ساتني — نعم يا أمّاه

كريبا — أحقاً يا ولدي أنك لا تعتقد أن القمر انما يأخذ في النقصان ، لأنّ خنزيراً في السماء ينهش منهُ كل يوم قطعة ؟ (١)

ساتني — كلاّ يا أمي

كريبا — اذن فما هو الحيوان الذي يلتقمهُ ؟

ساتني — لا يلتقمهُ حيوان

كريبا « ضاحكة » — حقاً ان لك أفكاراً لا يتصوّرها أحد . ويدهشني أنّ أباك يكاد يوافقك عليها . ولأسرع بتجهيز الخبز لهُ ، حتى اذا عاد وجدهُ حاضراً

(١) كان هذا اعتقاد عامة المصريين

ساتني — هذا رسول رحيو

كريپا « جزعة » — رسول قاتل الآلهة ؟

ساتني — وهل من لا روح فيهِ يحيي و يموت ؟

كريپا — لا أودّ أن أراه « تجمع الحَبَ »

ساتني — لماذا ؟

كريپا « لنفسها » — برررر . . . . . سأبخر المكان غداً بالحشائش المقدسة

(تخرج ويدخل الوكيل)

الواقعة الثانية

« ساتني — الوكيل »

الوكيل — أتعلم شيئاً يا ساتني مما جرى اليوم ؟

ساتني — لا

الوكيل — آه ! انها حوادث فظيعة ، فظيعة جداً

ساتني — أيوما في خطر ، أم ميير يس ، أم رحيو ؟

الوكيل — الجميع بخير في القصر

ساتني — اذن ؟

الوكيل — ان بين أتباعنا من استهوتهم الأغواء ، فأتوا من الأعمال الذميمة ما يؤسف عليهِ ، اذ نهبوا بيت جارنا وقتلوا وكيله

ساتني — كيف ذلك ؟

الوكيل — أتذكر ما أمرني بهِ مولاي هذا الصباح بعد تدمير الآلهة ؟

ساتني — كلاَّ

الوكيل — بلى ، عند ما أمرني بأن أفتح لهم خزائن القمح

ساتني — نعم نعم ، وبعد ؟

الوكيل — فذهبتُ لأنفذ أمره . ولكني اندهشتُ لمَّا رأيتُ القوم قد تجمَّعوا أمام الباب ، وأخذوا يتآمرون فيما بينهم ، ثم انصرفوا عنَّا . ويظهر أنهم قصدوا بيت جارنا ، فأوغروا صدر أتباعه وأحزابه عليهم ، اذ أرادوا أن يحطّموا تماثيل آلهتهم ، وينهبوا خزائن الدار . ولما حضر الجند لصدّهم ، دارت بين الجند وبينهم معركة قُتل فيها ذلك الوكيل وغيره ، فتفرَّق المتآمرون . وأمرني مولاي بأن آتي اليك لترد الى هؤلاء القوم رشدهم ، وتردعهم عن غيّهم . وقد وجدتُ بعضهم على مقربة من دارك ، كأنهم يريدون الاحتماء بك . ها ، انظر ، انهم قادمون « يخاطب القادمين قبل أن يدخلوا » ادخلوا ، تعالوا . ان ساتني يدعوكم « يتقدم فيدخلهم »

الواقعة الثالثة

« ساتني — الوكيل — بتيو القزم — ثم سوكتي ونرم »

ساتني « الى بتيو » — الى أين أنت ذاهب ؟

الوكيل — أين تذهب ، ومن أين جئت ؟

بتيو — كنت معهم أتبعهم حيث يذهبون

الوكيل — من أين جئت الآن ؟

بتيو — جئت مع من جاء وكان معي سوكتي ونرم

ساتني — وأين هما ؟

بتيو — هناك

الوكيل — أحضرهما

ساتني « يتقدم نحو الباب » — تعال يا سوكتي ، وأنت أيضاً يا نرم « يدخلان ذاهلين مبهوتين »

الوكيل — لمَ تختبئان ؟

نرم — لا نختبيء منك ، ولكننا نخشى الجند الليبيّين

ساتني — ولمَ تخشونهم ؟

سوكتي — لأنهم يطاردوننا

الوكيل — ولمَ يطاردونكم ؟

(ينظر الثلاثة بعضهم الى بعض)

ساتني — أجب يا بتيو

بتيو — بتيو لا يدري شيئاً

الوكيل « الآخرين » — أنتما تدريان ؟

نرم — لقد حسبونا إيّاهم

ساتني — حسبوكم مَن ؟

نرم — أظنهم حسبونا أصحاب حادثة الجار

الوكيل — اذن قد أساء أصحاب تلك الحادثة ، ماذا فعلوا ؟ تكلم

نرم — انهم فعلوا عنده ما جعلتنا نفعلهُ عندكم

الوكيل — وهل علم الكهنة بما حصل ؟

نرم — كلاَّ ، ولكن صاحب الدار أرسل في طلب الجند

ساتني — أأرسل في طلب الجند لهذا فقط ؟

نرم — لا أدري

ساتني — لو لم يكن الاَّ ما تقول ، لَمَا أرسل في طلب الليبيّين ، فانهُ من حزبنا

ويعتقد ما نعتقد . لا بدَّ في الأمر من سرّ ، تكلم . « يتثاءب بتيو حتى يُسمع صوت تثاؤبهِ » تكلم

سوكتي — نعم

ساتنى — ما هو

سوكتي « الى نرم » — تكلم

نرم — قد كانوا مغتاظين من صاحب الدار لأنهُ شرير

الوكيل — نعم انهُ قاسٍ، ولكنهُ كريم لا يبخل بالكثير على الفقراء

سوكتي — نعم يعطي في الدنيا ليأخذ في الأخرى

نرم — أي بعد موتهِ

ساتني — والآن لا يعطي ؟

نرم — مطلقاً

ساتني — عجباً !

بتيو — لا يعطي الآن شيئاً حتى جاعت البطون و . . . « يضحك »

نرم — ولكن شبعت الظهور مما تطعمها سياطه

سوكتي — وهذا لا يغني من جوع

نرم — فطلب عبيده قمحاً ليأكلوه

بتيو — فأوسعهم ضرباً حتى أشبعهم « يضحك »

الوكيل — أما أخذوا من القمح ما مُنعوه ؟

بتيو — الجوع « يضحك ويرقص »

ساتني — أكنتم عالمين بما هم فاعلون ؟

سوكتي — نعم

الوكيل — ولمَ انضممتم اليهم وقد دعاكم مولاي رحيو الى خزائنه ؟

نرم — خطر ببالنا انهُ خيرٌ لنا أن نأخذ من قمح ذلك الرجل اللئيم ، بدل قمح سيدك الكريم

سوكتي — وهذا عدل

بتيو « الى الوكيل » — ألا يسرُّك هذا فيبقى القمح في خزائنك ؟

(يضحك ويضحك معه رفيقاه)

نرم — اننا نحبك أنت

بتيو — نعم لأنك رجل كريم ، ونحن معك كرام

سوكتي — وهذه هي القصة

بتيو « يجمع أفكاره » — انتظر . أما ذلك الرجل فهو لئيم ، فنحن معهُ لئام « لرفيقيهِ » أليس كذلك . هه . أليس كذلك ؟ « الجميع يشمخون بأنوفهم ويضحكون » أما وكيله نيك فقد كان لئيماً مثله فمات وحسناً فعلوا

ساتني — ماذا تعني ؟

سوكتي « ضاحكاً » — انهم أخذوا الوكيل ثم . . . « يضحك ولا يستطيع اتمام الكلام من الضحك »

نرم — ثم أدَّوا لهُ ما هم مدينون بهِ من ضربات العصا

ساتني — أرأيتهُ ؟

نرم — نعم

سوكتي « بشمم » — وأنا أيضاً ، وأنا أيضاً

بتيو — وكم ضحكنا لأن . . . لأن الوكيل سمين . . . وطويل أيضاً ومع ذلك ألقوه ... ألقوه على الأرض فسقط كما أسقط أنا ، مثلي أنا بتيو ، مع أنهُ كبير وطويل . فسررت « يلعب بتيو باحدى قدميهِ اثناء ما يأتي »

الوكيل — انهم أساءوا صنعاً

نرم — كلاَّ . ومع ذلك فقد كان ذلك الوكيل شيخاً ، ونال من اللذات ما كفاه

سوكتي — نعم كان شيخاً ، وحسناً فعلوا اذ قتلوه . لقد كان سميناً جداً ، وما أظنهُ الاَّ امتلأ من لذات الدنيا حتى لم يعد يطيق فكاكه

نرم — صدق ، ومثل هذا يجب أن يرحل ليخلو المكان لغيره

ساتني — ولكن القتل حرام

سوكتي — وما يضرّ القتل ؟

نرم — نعم ، قتل رجل كريم حرام ، ولكن قتل رجل لئيم حلال

ساتنى — ربّ مَنْ تظنهُ لئيماً كان كريماً وأنت لا تدري

سوكتي — لو لم يكن لئيماً لما ظننتهُ كذلك

الوكيل — أنت لم تفهم ، فاسمع . أنا لست رجل سوء في نظرك . . .

سوكتي « مقاطعاً » — ولهذا لا يريدك أحد بسوء

الوكيل — دعنى أتم كلامي . أتذكر كوب العبد الأسود ، فهذا مثلاً كان يظنني من أهل السوء

نرم — نعم

الوكيل — فاذا كان قتلني ؟

بتيو — ولكن نحن لسنا عبيداً سوداً مثله

الوكيل — أنتم لا تفهمون . تدبَّروا قليلاً فيما أقول . انهُ كان يظنني رجل سوء مع أني لست كما يظن ، فكان يُعد معذوراً اذا قتلني حسب قولكم

(الجميع يطرقون مفكرين)

سوكتي — فهمت . أنت تقول ان ذلك العبد لو كان قتلني . . . لا ليس كذلك

ساتني — يجب على المرء أن يحترم النفس البشرية

(يطأطئون الرؤوس باحترام موافقين كيلا يطول الاخذ والرد وفي تلك الاثناء تسقط من نرم صرّة فيسرع بالتقاطها ويحاول اخفاءها والخروج بها قبل أن يلحظه أحد)

الوكيل — ما الذي معك ؟

نرم — لا شيء ، هذا شيء لي

بتيو « يبدأ بفتح الصرّة » — هذا ، هذا عقد ! أرنيه

نرم — نعم عقد

ساتني — من أين لك هذا ؟

نرم — سلبتهُ من صاحب الدار

ساتني — وتظن انك أحسنت صنعاً ؟

نرم « متردداً » — ولكن . . . نعم

ساتني — لقد وهمت

نرم — لا تخف فانهُ لم يرني أحد

ساتني — ولكنهُ أمر قبيح

نرم — لا . انما القبيح ما يؤذيني فعله . وحيث لم يرني أحد فلا خوف عليّ ، اذن فما فعلتهُ غير قبيح

ساتني — اذا كان هذا الفعل لا يؤذيك ، فانهُ أذى صاحب العقد

نرم — لديهِ غيره

سوكتي — وهو يتمتع بتلك الحليّ من زمن طويل ، ونرم لا شيء عنده . وما هذا عدل ، وكذلك أنا فإني لم أملك قط مثل هذا

(يخرج من صدره سواراً)

ساتني — وأنت سلبت هذا السوار ؟

سوكتي « فرحاً » — انه لي

ساتني — أراكم فرحين « يضحكون »

نرم — وبتيو ؟ . .

ساتني وسوكتي — نعم وبتيو ؟

نرم — انهُ نال خيراً من هذا كلهُ

الوكيل — ماذا ؟

بتيو — جارية

الوكيل — أسبيتها قهراً ؟

بتيو — ما رضيت بي أنثى قط طوعاً

سوكتي — ولكنها فرَّت منهُ

بتيو — نعم « ويبكي »

ساتني — عليكما أن تردا هذا العقد وهذا السوار لصاحبهما

نرم — نردّهما ؟ ولكن لديهِ غيرهما

ساتني — هذا لا يعنيك . أإن كنتَ بائع عطر مثلاً ، أتجد من العدل أن يأتي اليك رجل ، فيسلبهُ بحجة أن ما لديك منهُ كثير ، وأن ليس عندهُ منهُ شيء ؟

نرم — انك تقول أشياء يصعب عليَّ فهمها

ساتني — عليك أن تردّ هذا السوار يا سوكتي

سوكتي — أمرك يا مولاي

ساتني — وأنت يا نرم تردّ العقد

نرم — أمرك يا مولاي

(يسود عليهم الحزن ويسكتون)

ساتني — أراكم متأسفين . أشعرتم بأنكم أخطأتم فيما فعلتم ؟

سوكتي — نعم أخطأنا

ساتني — حسناً

نرم — نعم أخطأنا اذ أخبرناك بما فعلنا ، لأننا نراك قد استأت

ساتني — اني استأت لما فعلتم ، فأردت أن أرشدكم الى ما فيهِ خيركم

نرم — اذن فما كنت تقولهُ لنا غير صحيح ، والنعيم والجحيم موجودان

ساتني — كلاَّ

نرم — اذا لم يكن إله يجزينا على ما فعلنا ، لأنهُ لا إله . ولا انسان يعاقبنا على ما اقترفنا ، لأنهُ لم يرنا أحد ، فَمِمَّنْ نخاف ؟ «سكوت» ومع ذلك سأردّ العقد

سوكتي — أما أنا فلن أردّ السوار ، لأني لم أسرقهُ ، انما الذي سرقهُ أحد عبيد صاحبه

الوكيل — ولكنهُ معك

سوكتي — نعم أخذتهُ منهُ

الوكيل — أ أعطاهُ لك طوعاً ؟

سوكتي — انهُ لم يمنعهُ ، اذ كان جريحاً ومحتضراً

ساتني — كان عليك أن تسعفهُ

سوكتي — لم تكن بيننا معرفة

ساتني — ولكنهُ انسان مثلك

سوكتي — وكم في الناس مثلي ومثله !

ساتني — تجب عليك اغاثة الملهوف

سوكتي — وما جزائي على ذلك ؟

ساتني — اغتباطك بفعل الخير

سوكتي — انهُ لا يعادل اغتباطي بحيازة السوار

ساتني — ان السعادة في فعل الخير وترك الشرّ . فإذا أردت أن تحسن اليك الناس فأحسن الى الناس . واذا خشيتَ أن يسيئك أحد فلا تسىء الى أحد . أفهمت ؟

سوكتي « واجماً » — نعم

ساتني — وأنت ؟ وأنت ؟

نرم وبتيو « كلٌّ بلهجة تخالف لهجة الآخر » — نعم . نعم

الوكيل « الى سوكتي » — أعد ما سمعتهُ

سوكتي — اذا كانت الناس لا تسرق أساور . . . . .

الوكيل — وبعد ؟

سوكتي — لا تسرق أساور . . . « ويضحك »

ساتني « الى نرم » — وأنت ؟

نرم — انهُ أخطأ اذ أخذ السوار

ساتني — لماذا ؟

نرم — لأنك غضبت

ساتني — كلاَّ ، ليس لأجل ذلك

سوكتي — أنا لم أخطىء

نرم — بل أخطأتَ . انتظر . لقد فهمتُ : اذا سرقتَ فقد يأتي رجل آخر ويسرقك ، وكذلك اذا قتلت

ساتني — أصبت . ولماذا يجب عمل الخير ؟

نرم — انتظر . « الى سوكتي » واذا صنعتَ خيراً مع انسان لا تعرفهُ ، فقد يأتي انسان آخر لا يعرفك فيصنع لك خيراً

الوكيل — حسناً ، حسناً . أفهمت الآن يا سوكتي ؟

سوكتي — أظن اني فهمت

ساتني — قُلْ ، ماذا فهمت ؟

سوكتي « بعد عناء طويل » — فهمت أنك لا تريد أن يسرق أحد أساور

ساتني — بل أريد أن لا يسرق أحد شيئاً مطلقاً . أفهمت ؟

سوكتي — لا

الوكيل « الى بتيو وهو مصغ بانتباه شديد » — وأنت ؟

بتيو — أنا ؟ أنا بي دوار شديد

(يتحادث ساتني مع الوكيل فينسحب بتيو وسوكتي خفية)

الوكيل — انظرهما

ساتني — ان الشجرة التي قوّس الدهر جزعها لا تقوّمهُ في يوم

الوكيل — مثل هذه الشجرة تُترك على حالها أو تنزع من جذورها

ساتني — بل نحاول بالصبر تقويم جزعها ما استطعنا « بشدّة » وعلى كلّ حال يجب أن لا نهمل النبت الناشىء كيلا يعوجّ عودهُ

(يسمع صراخ من الخارج)

الواقعة الرابعة

« ساتني — الوكيل — نوم — ثم ميريس ويوما »

الوكيل — ما هذا الصراخ ؟

ساتني — أظنهُ من نساء تولاّهنّ الجزع

(تدخل يوما قائدة ميريس وهما مضطربتان)

يوما — ادخلي بنا يا مولاتي . تعالي ، نحن هنا في منزل صانع الفخار أبي ساتني ساتني ، النجدة النجدة ، اسرع اسرع ، أبك يا ساتني

ساتني — ميريس ! يوما ! ماذا أتى بكما ؟

يوما — سنخبرك بعد ، الحق بهِ أولاً

ميريس — أسعف أبك انهُ جريح . وقد أرسلت الى القصر ليأتوني بمن يلقي السحر

على الروح الخبيثة فتخرج من جسمهِ

يوما — أحاط بنا قوم . . .

ميريس — ولكنهُ دافع عنا . . ويلاه ! . انهم سيجهزون عليهِ . اذهب « يتناول ساتنى والوكيل ما مع نرم من السلاح ويخرجان عدواً » يوما ، انهُ جرح ، جرح وهو يذود عنا ، مع أنهُ من العبيد

نرم — مولاتي . . .

ميريس — أسرع الى القصر وأتني بمُطاردي الأرواح الخبيثة

يوما — آه يا مولاتي ، اني أخشى عليهِ ، فقد خلفتهُ طريحاً على الأرض

ميريس — سيخلّصونهُ ويأتون بهِ الى هنا

يوما — وهل يأتون بهِ حيًّا ؟

ميريس « الى نرم » — طر الى القصر يا نرم . أما تسمع ؟ أسرع وقل لهم أيضاً أن يرسلوا الينا النائحات والنادبات ، وكل ما يلزم الميت عند الوفاة . فاذا مات في سبيل الدفاع عنا ، فإني أريد أن يحتفل بهِ احتفالهم بي اذا متّ

الواقعة الخامسة

« ميريس — يوما »

ميريس — والآن ارشديني يا يوما الى طريق النيل

يوما — أتريدين الموت يا مولاتي ، أبلغ بكِ اليأس الى هذا الحد ؟

ميريس — وا أسفاه ! وا أسفاه ! لمَ لحقتِ بي لمَّا هربتُ من القصر ، فتبعتني وأرجعتني ؟

يوما — ألم أفطن الى قصدك يا مولاتي ؟

ميريس — وهل بقي للحياة معنى فأعيش ؟

يوما — ولكنكِ كنت بالرغم من مصابك متعلقة بالحياة ، فما الداعي ليأسكِ اليوم ؟

ميريس — ما أعظم الفرق بين أمس واليوم ! الى الأمس كنتُ آمل أن أشفى بمعجزة

يوما — ربما كانت تلك المعجزة لا تحصل

ميريس — نعم ، ولكني كنت لا أنفكّ عن ترقّبها ، حتى تفارق روحي البدن

يوما — لكنك تدركين اذ ذاك أن ما عللوك بهِ كان خرافة ، وأن لا شيء بعد الموت

ميريس — سواء صدقوا فيما زعموه أو كذبوا ، فالإيمان بما وراء الموت عزاء وسلوى . أترين اذا أنا متُّ ، لاستقبلنَّ المنون بثغر باسم ، اذ أكون على وشك اللقاء بولدي المحبوب في العالم الآخر . ان فقد أمّ ولدها يا يوما ، مصاب شديد لا تكاد الأم تصدّق بهِ . وكأني بالذي قدّر هذا الفراق الأليم ، أراد أن يخفف من وقعهِ ، فألهم الأم العزاء الجميل ، اذ ألهمها أمل اللقاء القريب . فهي تقول في نفسها : ما هذا الاَّ فراق ، وبعد الموت التلاق ... قد يكون ما تدَّعيهِ يا ساتني صادقاً . ولكن اذا كان مذهبك يقضي على الأم ، بقطع الرجاء من لقاء صغير ثكلتهُ ، أو عزيز فقدتهُ ، ويجعل الموت سدًّا بين الحياة والآمال ، فأبشر بأننا معشر النساء ، أوَّل من يكفر بك وبمذهبك

يوما « بحرقة » — مولاتي لا تصدقي ما يقول ، لا تصدقي

ميريس — وا أسفاه ، لقد خاب الرجاء !

يوما — لا تصدقي يا مولاتي

ميريس — كيف ؟ ولو كانت آلهتنا موجودة لانتقمت منا على تحقير تماثيلها

يوما — أما ترينها انتقمت منك من قبل تحقيرها

ميريس — تقولين ذلك رأفة بي يا يوما ، وتحاولين ردّ الإيمان الى قلبي ، مع أنهُ تزعزع في قلبك

يوما — وما أدراك يا مولاتي انهُ لم يتزعزع

ميريس — لقد أبيتِ تقديم نفسك قرباناً . . وخيراً صنعتِ

يوما — ما أبيتُ

ميريس — ما أبيتِ ؟

يوما — كلاَّ . وهل تعلمين كيف عرفتُ اليوم انك بارحتِ القصر ؟

ميريس — كيف علمتِ ذلك ؟

يوما — كنتُ أحاول الهرب أنا أيضاً

ميريس — كنتِ تحاولين الهرب ؟

يوما — نعم لأذهب الى الهيكل ، وأسلّم نفسي الى الكهنة ليقرّبوها الى آمون الذي اصطفاها

ميريس — وهل ما زلتِ على اعتقادك بهذه السّخافات ؟

يوما « بصوت منخفض » — لقد رأيتُ ايزيس يا مولاتي

ميريس — أأبقوا اذن على بعض تماثيلها ؟

يوما — ما تمثالاً رأيتُ يا مولاتي . بل أبصرتُ ايزيس نفسها ، رأيتها رؤيا العين ! . .

ميريس — رأيتها ! . أنتِ رأيتها ؟ وكيف رأيتها ؟ لا أدري كيف يرى الانسان ، اذ لا أفهم تماماً معنى الرؤية

يوما — لقد كلمتني

ميريس — وسمعتِ صوتها ؟

يوما — سمعتُ صوتها

ميريس — كيف ذلك ؟ كيف ذلك ؟ أكنتِ نائمة فتمثَّلت لك في الرؤيا ؟

يوما — ما كنت نائمة ، بل رأيتها في اليقظة وسمعت صوتها . اذ كنت في خلوتي أبكي ، فاذا بحركة شديدة ملأت نفسي رعباً ، ثم انبلج نور بهر عيني ، وشممتُ عرفاً طيباً انشرح له صدري ، ورأيت المعبودة قد تجلَّتْ عليَّ بجلالها وجمالها ، وما لبثت أن اختفت

ميريس — وكيف اذن سمعتِ صوتها ؟

يوما — عادت اليَّ في الغد وكلمتني بعد أن نادتني باسمي وقالت لي : ان خلاص مصر في يديكِ

ميريس — ولمَ أخفيتِ ذلك عنا ؟

يوما — خشيتُ أن لا يصدقني أحد

ميريس — ما أسعد حظك يا يوما ! انك لا تدرين مبلغ ما أصابني من الألم بعد أن ذهب من نفسي ايمانها ، وتزعزعتْ فيها معتقداتها ، وخاب في الثواب والمآب رجاؤها . وقد خجلتُ من نفسي كيف خدعوها بترّهاتهم وأباطيلهم تلك السنين الطويلة . ومع ذلك ، فماذا أفادني الآن ظهور الحقّ و بطلان تلك الأباطيل ؟ خلا قلبي من الإيمان بها ، فأصبح كدار أصابها حريق فأمْسَتْ خالية خاوية لا يُرَى فيها الاَّ أطلال ورماد «تمسح دموعها» أراني كامرىء جائع ، فاتهُ الطعام ولا يجد ما يسدّ به رمقه ، أو ظامىء مُنع المـاء ، فلم يروَ غليله ، أو عارٍ نُزِعت عنهُ ثيـابه ، فلا يجد ما يسترهُ . كنتُ عمياء البصر ، فأصبحَتْ روحي أيضاً عمياء . فمَنْ لي بشعاع من نور الأمل ، يضيء به روحي ؟ مَنْ لي ولو بأمل كاذب ، يحلّ محل الأمل الخائب ؟

يوما — ما لكِ والكاذبين ؟ تناسي ما سمعتهِ ، واذكري ما لقَّنَتْكِ أمك . اذا كانوا حطَّموا آلهتنا في تماثيلها ، فاحيي أنتِ ذكرها في قلبك ، ألا بذكرها تطمئن القلوب

ميريس — نعم نعم . سأحي ذكرها في قلبي . لقد نبَّوا عقلي ، فزعزعوا معتقدي . ولأخالف عقلي ، ولأعد الى آلهتي . فإن لم أستطع الإيمان بها كل الإيمان فلا أقل من أن أفعل ما يفعل المؤمنون . واذا كانت آلهتي كاذبة ، ولأتمسكنَّ بها حتى يخيَّل لي أنها من الصادقين . نعم واني مقدسة تلك الأباطيل ، مصدقة تلك الترَّهات ، ممجدة تلك السفاسف ، عابدة تلك الصور المشوَّهة ، راكعة أمام تلك النُّصب الجامدة ، ساجدة لتلك الأحجار الهامدة «تركم» ويلاه لقد كنت ونفسي فارغة منهم كغابة بلا طير ، وشجرة بلا ثمر ، ونهر بلا ماء . . . . لا شك أن الايمان جنة النفوس

يوما « راكعة » — وحياتي قربان لهم لو يتقبَّلون

ميريس — انما الإيمان الأمل ، والأمل غاية الحياة

يوما — أريد تقديم نفسي قرباناً لخالقها

ميريس — ألا ترين يا يوما أن النفس مندفعة الى الاعتقاد بقوة فوق قدرة البشر

يوما — وهل يستغني الفقير عن الكريم ؟

ميريس — ولا يستغني الضعيف عن القويّ

يوما — اذا لم يكن لنا رب فلمن نشتكي ؟

ميريس — ومن ندعو لتخفيف آلامنا ، ومن نشكر على تحقيق آمالنا ؟

يوما « منتحبة » — ما أشقانا وأتعسنا لو تخلَّى عنا إلهنا !

ميريس « تندفع الى أحضان يوما » — لا أود أن يتخلى عني ، لا أود أن يتخلى عني

يوما — انهُ لا يتخلى عن المؤمنين بهِ

ميريس — آلهة ! آلهة ! لا بدَّ لنا من آلهة . الأرض دار السقام ، ومهبط الآلام ، فلتكن السماء دار الرحمة ودار السلام . تجلَّ يا آمون على خلقك ، واظهر لعبيدك

يوما « بعد سكون » — تجلي علينا يا ايزيس ! ارحمينا « تصرخ منفعلة » مولاتي أظن انها ستظهر لي مرة أخرى . ايزيس ! مولاتي ، أسمعت ؟

ميبريس — لم أسمع شيئاً

يوما — وهذه الألحان وهذه الأناشيد ؟ ها هي !

ميبريس — لا أسمع شيئاً

يوما — انها تتكلم . . . . نعم أيتها المعبودة

ميبريس — أترينها ؟

يوما « منبهرة » — أراها وها هي مقبلة علينا !

ميبريس — أيتها المعبودة . . .

يوما — لقد اختفت . لم تمكني من رؤيتها يا مولاتي ، ولكن أما سمعت خطاها ؟

ميبريس — نعم ، أظن اني سمعتها . أظن ، وكفى بذلك عزاء

يوما — ما أسعدني ! الى الهيكل ، الى الهيكل ! لقد أشارت اليّ بيدها قائلة : الى الهيكل . هيا بنا يا مولاتي الى الهيكل

ميبريس — هيا بنا الى الهيكل ولنصلّ لهم « تخرجان مسرعتين »

الواقعة السادسة

« ساتني — باخ — رجال ثم الساحر ومساعداه وكريبا »

يدخل الساحر ومساعداه يليهما باخ محمولاً على محفة ووراؤه زوجته كريبا ويحيط بها ويسندها نساء يدخلن معها الى المنزل ليوصلنها . يأخذ الساحر قليلا من الطين من صندوق يحمله أحد مساعديه فيكوّره في يده ويبدأ يقول بصوت أغنّ :

الساحر — يا باخ يا ابن ريتي جُرحتَ فخأتْ في جسمك روح خبيثة ، فسأتلو عليك ما يذهب بها « ان فضائل هذا الذي أمامي يتألم ؛ فضائل أبي المعبودات . وفضائل جبينه ، فضائل جبين تومو . وفضائل عينيه ، فضائل عين حوريس

مبيدة المخلوقات « سكوت »

باخ — ابتعد عني

الساحر — شفتهُ العليا ايزيس ، وشفتهُ السفلى نفتيس ، وعنقهُ عنق المعبودة ، وأسنانه سيوف ، ولحمهُ أوزيريس ، ويداه من أرواح الآلهة وأصابعه ثعابين زرقاء وحيَّات من أولاد المعبودة سلكيت[1]

باخ — ابتعد عني فما عدتُ أعتقد بسحرك

الساحر « يخرج من الصندوق تمثالاً صغيراً » — حوريس هنا . رع هنا . تذوا أولياء عين شمس . . .

باخ — أما انتهيت ؟

(يُدفع بيده التمثال عند ما يقربه منه الساحر فيسقط التمثال)

الساحر — ان الأرواح الخبيثة التي حلَّت في جسمهِ أقوى من التعاويذ . فهو لا شك هالك . ولا يجب أن يحضر وفاته الاَّ ابنه فقط . فاخرجوا أجمعين

(يخرج الجميع الا باخ وساتني)

الواقعة السابعة

« ساتني — باخ »

ساتني — أبي

باخ — أأنتَ هنا يا ولدي ؟ أحسنت . لقد سررتُ بانصراف هذا الساحر الكاذب ، فاشفني أنت

ساتني — ستشفى يا والدي ، فاصبر يأتك الشفاء

باخ — بل اشفني حالاً

---

(١) هذه التعويذة حرفية ومنقولة عن الآثار . وكان يقصد بتشبيه أعضاء الانسان بأعضاء الآلهة أن تخشاها الارواح الخبيثة فتنصرف عنها

ساتني — لا أستطيع

باخ — لمَ لا تريد شفائي ؛ أما تراني مجروحاً ؛ اني متألم فهيّا أسعفني

ساتني — لو كان الأمر في يدي ، لجدتُ بكل ما عندي في سبيل شفائك

باخ — انك تعرف من التعاويذ ما يجهله كهنتنا ، فاتلُها عليَّ

ساتني — لا أعرف شيئاً من هذه التعاويذ

باخ — لا أظنك تدعني أموت

ساتني — لن تموت فاطمئن

باخ — أطمئن وبمَ أطمئن « سكوت » ألا تريد أن تشفيني ؟

ساتني — لا أستطيع

باخ — اذن أنتَ لا تستطيع الاَّ التدمير . ولدي ارحمني ، انَّ دمي يسيل ، وحياتي تسيل معهُ . ولا أريد أن أموت « بشدة » لا أريد ، لا أريد . لا تترك يدي ، لا تتخلَّ عني . أريد أن أحيى ، أريد أن أعيش . لقد قضيت حياتي دائباً مكباً على العمل ، فكم شقيتُ وكم تألمتُ . ساتني ، أتدعني الآن أرحل قبل أن أتمتع بالراحة والسعادة كما وعدتني ؟

ساتني — آه يا والدي !

باخ — أتبكي ؛ ويلاه ! اذن قضى الأمر ! نعم أرى ذلك في عينيك « يتلفت » وهذا السكون الذي حولي ؛ آه . الموت ! الموت ! « سكون طويل » وبعد ماذا يكون ؛ « سكون » ألا تجيب ؛ اذن فهذه غاية فقير مثلي : كدٌّ في الحياة ، وشقاء في طلب الرزق ، وفقر مدقع ، وحرمان من كلّ لذَّة ، ثمَّ موت ؛ أموتُ وينتهي كل شيء ؛ لا جزاء ولا عقاب ؛ انتهى كل شيء ؛ « بشدة » ساتني ، ساتني ، رد عليَّ يقيني ، رد عليَّ ايماني . آه لمَ وُلدتَ أيها الكافر المضلّ ؛ أوُلدتَ لتهدم ، وهل العدم مذهبك ؛ لا كنتَ

يا نذير الخراب ! لقد تمكنت فأقنعتني بكذب ما يعبدون . فرُدَّ لي الآن ايماني ، أو أثبت لي أنك من الصادقين . رُدَّني الى سذاجتي وجهلي ، فقد كانا عمادي . رُدَّ لي ايماني

ساتني — لا تيأس

ياخ — كيف لا أيأس ، ولا دار بعد هذه الدار ، ولا جنَّة للصَّابرين

ساتني — بلى يا أبتِ ، وسترفع الى دار عليين

ياخ — أنت الآن من الكاذبين ، وأراك تغرر بي . لا أوزيريس ، لا أوزيريس . لا شيء بعد هذه الحياة . فعليك اللعنة بما علَّمتنيه ، وعليك اللعنة بما سلبتنيه . رُدَّ عليَّ ايماني . « يحاول القيام فيسقط من السرير فيحمله ساتني باحترام ويردهُ الى مرقدهِ » أيها الولد الضالّ ، والرجل المضلّ ، عليكَ اللعنة ! ليتني أستطيع الآن فأنتقم منك . اقترب مني . اقترب أيضاً « يقبض على عنقهِ » آه ، ليت لي قوة ، فأنشب أظافري في عنقك . هاها يا ملعون

(يفرج عنه ويسقط ميتاً)

ساتني « مرتعباً » — لقد مات . يا أماه يا أماه « يصلح وضع والده » آه يا والدي المسكين ليت كل الحقائق كانت كاذبة ، فلا أبكيك اليوم !

(يجثو باكياً ويداه ممدودتان على جسم والده فتدخل كريبا)

كريبا — هل مات ؟

ساتني — نعم وا أسفاه !

كريبا — ويلاه ، ويلاه ! سيدي مات ، وا أسفاه ! مات السيد . مات السيد . مات السيد !

الواقعة الثامنة

« سانخي — باخ ميتاً - كريبا ثم النائحات »

النائحات — مات السيد ، مات السيد !

كريبا — واسنداه ، وا أبتاه !

النائحات — واسنداه ، وا أبتاه !

كريبا — واولداه ، واولداه !

النائحات — وأبتاه ، واولداه !

(يرتمين على الجثة صارخات ويلطمن صدورهن بقبضة أيديهن وهن يرقصن رقص النائحات في المآتم دون أن ينتقلن من أماكنهن وينحنين الى الأرض فيحثين التراب على رؤوسهن) (١)

كريبا « تنحنى أمام الجثة » الى أبيدوس(٢)، الى أبيدوس ! الى أوزيريس(٣)، الى أوزيريس !

---

(١) يلاحظ أن عادات المصريين الحاضرة في مآتمهم صدى لتلك العادات العتيقة فما زالت النائحات والنادبات الراقصات والضاربات بالطبول محافظات على تلك التقاليد القديمة . وترى فيما يلي أن تلقين الميت ما يجب عليه أن يقوله عند الحساب له أصل أيضاً في عادات قدماء المصريين . وقد حافظنا على الأصل المصري ما استطعنا ومكننا من المحافظة عليه في الترجمة ذوق اللغة العربية

(٢) أبيدوس : مدينة من مدن مصر قديماً كانت تلي طيبة في العظمة ومحلها اليوم العرابة المدفونة بمركز البلينا . وكانت مدافنها شهيرة ووجدت بها جملة جثث محنطة للحيوانات المقدسة

(٣) أوزيريس : معبود مصري قديم يظهر أن اسمه بلفتهم (سايبري) أو (سيري) أو (أوزيري) وانما (أوزيريس) اسمه الاغريقي . وكان أوزيريس في البدء معبود جملة بلاد في شرق مصر وكان اله النيل والخصب المقابل للمعبود (ست) اله الصحراء والجدب . وجاء في أساطير المصريين أن أوزيريس وزوجته ايزيس من جهة (راجع قصتها بهامش صفحة ٢٣) وست وزوجته نفتيس من جهة أخرى كانوا جميعاً اخوة من أب واحد هو (سيبو) اله الارض وأم واحدة هي (نوت) الهة السماء . فأوزيريس ابن السماء والأرض وان لم يكن اول مخلوق من بني آدم فهو في زعمهم أول اله تشكل بزي الانسان فجمع بين صفتي الالوهية والانسانية وأول من حكم بين الناس فلطف من طبائعهم الوحشية وعلمهم زراعة القمح والكروم ووضع لهم

النائحات — الى أبيدوس ، الى أوزيريس !

كريبا — في يوم حشر الناس ، نُجمع معاً يا بخ

النائحات — الى أبيدوس، الى أوزيريس !

(يقلدن بأيديهن صورة أخذ الجثة وحملها وهي حركة من الطقوس الدينية)

كريبا — يا نصيبي يا شقيقي يا حبيبي * لا تبارح دار أنسك وصفاك
لا تبارح أرض بيت قد رعيته * لا تبارح قلب زوج قد رعاك
اتركوه ، اتركوه ، اتركوه ، * كل قصدي في حياتي أن أراك

النائحات — الى أبيدوس، الى أوزيريس !

كريبا — لا تيأس ولا تقنط ، فساتني اليوم موجود

النائحات — لا تيأس ولا تقنط ، فساتني اليوم موجود « يشرن اليه »

دليثي — بعد أن أبكيك ، حنّو ترثيك ، ثمّ يتلو ولدك الكلمات السحريّة . اذا لقيت أوزيريس ، والقضاة الاثنين والأربعين ، في محكمته الربانيّة ، ونُصب لك الميزان ، وسُئلت عن أعمالك ، فقلْ انك فعلت الخير ، وما أتيت الشرّ ، ولم تخالف قط الأوامر الإلهيّة

ساتني — أما أنا فلا أتلو الكلمات السحريّة

النائحات — لا تيأس ولا تقنط ، فساتني اليوم موجود

حنّو — لا تيأس ولا تقنط ، فساتني اليوم موجود . و بعد أن أبكيك ، نوريت ترثيك . ثم يتلو ولدك الكلمات السحريّة . فاذا لقيت أوزيريس وقضاته

الطقوس الدينية وشيد المدن واليه ينسبون انشاء مدينة طيبة نفسها . وقد رأينا في شرح ما يتعلق بايزيس (بهامش صفحة ٢٣) ما تم له مع أخيه ست وكيف قتله أخوه وأحبته زوجته ايزيس الى أن صار ملكا على الموتى في الآخرة فاليه تقدم الأرواح للحساب في محكمة يشاركه الحكم فيها اثنان وأربعون قاضياً على ما ورد في الآثار . وقد جعلت تلك الوظيفة لأوزيريس شأناً عظيماً لدى قدماء المصريين الذين كانوا يعنون أشد العناية بمصير أرواحهم فأصبح لأوزيريس المقام الأول في كعبة آمالهم وعمت عبادته وادي النيل

في المحكمة الربانيـة ، فقل انك أطعمت الفقير . ونصرت المسكين . ولم تنهب هيكلاً للآلهة . ولم تقتل قط نفساً بشريّة

ساتني — لن أتلو كلمات لا فائدة منها

النائحات — لا تيأس ولا تقنط ، فساتني اليوم موجود

نوريت — لا تيأس ولا تقنط، فساتني اليوم موجود ، يتلو عليك الكلمات السحرية. فاذا لقيت أوزيريس، فقل لهُ انك لم تنزع عن الموتى أكفانها ، ولم تبخس الكيل والميزان ، ولم تصد الحيوانات المقدسة ، قل له اني عفيف

النائحات — اني عفيف ، اني عفيف !

كريبا — قل له أعطني اليوم جزائي ، فاني عفيف ، أعطني مما تعطي السماء ، أعطني مما تخرج الأرض ، أعطني مما يأتي بهِ النيل من منابعهِ القاصية الخفيّة . ولا تيأس ولا تقنط ، فساتني اليوم موجود ، يتلو عليك الكلمات السحريّة

(يسكتن جميعاً ناظرات الى ساتني)

ساتني — كلا لن أقول شيئاً

(يندهش جميعاً)

كريبا « تقترب منهُ واضعة يديها على كتفيهِ » — اتلُ الكلمات السحريّة

ساتني — لا أتلوها « ويبتعد »

كريبا — اذن عليك اللعنة !

(تسقط مغمى عليها فتسرع الى اسعافها النساء ويشهق ساتني بالبكاء)

الفصل الرابع

يمثل المرسح داخل معبد به أعمدة غليظة كالأبراج ، وعليها نقوش هيروغليفية . وعلى يسار المعبد الهيكل . وفي مقدمة المرسح سرداب صغير ظاهر للمتفرجين ، وخلف عن الممثلين . وبه آلات المعجزات ، وهي عبارة عن رافعة وحبال . وفي وسط المرسح عرشان متقابلان ومسندان الى عامودين ، وأحدهما فخيم معد لجلوس فرعون ، والآخر بسيط معد لرئيس الكهنة

الكهنة قائمون للصلاة ينشدون

الكهنة « نشيد » — يا أبا الاحسان ، يا إلهي ، يا صفا ضيا الأكوان ، رحمتك .

واهدنا للهدى ، ربّ الصلاح . يا إله الناس ، آمون ، أسبل الغفران

يا عليّ ، يا قويّ ، يا متين ، يا عظيم الشأن ، بالجود والينا ، يا ضيا الأكوان .

رحمتك . واهدنا للهدى ، ربّ الصلاح . يا إله الناس ، آمون ، أسبل الغفران

يدخل فرعون متفعلا ووراءه الضابط يعدو مضطرباً فيجلس فرعون على عرشه ويتقدم نحوه الكهنة محيين فيشير لهم فيجلسون على المقاعد حول العرشين

الواقعة الأولى

« فرعون — رئيس الكهنة — ضابط — شيخ هرم — ستة كهنة »

فرعون « للضابط غاضباً » — ويلك ! سأجعلك عبرة للعالمين

الضابط — أفرعون حباك آمون رع الصحة والحياة والقوّة . . .

فرعون — وما فعلت فيما أمرتك بهِ ؟

الضابط — مولاي يا ملك المِصرَين ، يا صديق رع وحبيب موتو . منحك آمون . .

فرعون — كفى ، ماذا فعلت ؟

الضابط — ليتني متّ . . .

فرعون — ستموت قريباً فلا تعجل . ولكن لمَ لمْ تنفّذ أيها الكلب الحقير ما أمرتك بهِ ؟

الضابط — ساتني . . .

فرعون — ساتني ، نعم ساتني المجرم أين هو ؟

الضابط — أفرعون ، ليكن آمون وسوخو ورع وحوريس . . .

فرعون — ويلك ! سأريق دمك على طرف العصا . ساتني ، أين ساتني ؟ لقد أرسلتك لتأتيني بهِ فأين هو ؟

الضابط — لا أدري

فرعون — ويحك يا خائن ! ما أنت الآ شريكه

الضابط — يا لآمون !

فرعون — أذهبت الى دار أبيهِ ودار رحيو ؟

الضابط — بحثنا عليهِ فيهما فلم نجدهُ

فرعون — اذن هرب

الضابط — لا أدري

فرعون — يا لك من خائن ! سيكون جزاؤك الموت . فليؤخذ . واستمعوا جميعا لما يقضي بهِ رئيس الكهنة

رئيس الكهنة — ليقم كلٌّ منكم بما أُمر بهِ . وليتفرق صغار الكهنة بين الجموع اذا فُتح باب المعبد ، وليدعوهم الى الصلاة بخشوع ، عسى أن تجيب المعبودة نداءنا ، فتظهر لنا منها المعجزات . واذا خرجتم من هذا المكان ، فستزاح الأستار المقدسة عن وجه المعبودة ، فيتجلى لفرعون ولي أنا كبيركم ، قبل أن يؤذن لكم برؤيته ، فنركع أمامه بخشوع ، ونتلو من صلواتنا السرّية ، ما لم تسمعهُ أذن بشر . فطأطئوا هاماتكم ، واسجدوا لفرعون عاش ممتعاً بالقوّة والصحة « يسجد الجميع أمام فرعون حتى تلمس جباههم الأرض، خلا شيخاً واحداً يدعوه رئيس الكهنة باشارة منهُ ، ويحدثهُ بينما القوم سجودٌ » أخرج

المسجون من القبو « يطأطىء الشيخ رأسه ويقول رئيس الكهنة للجميع »
هيّا « ولفرعون » واركع يا ابن آمون رع الى مثل ربك

(يقوم فرعون ويركع مترددا أمام رئيس الكهنة ، ويلبث كلاهما واقفاً لا يتحرك حتى يخرج القوم جميعاً)

الواقعة الثانية

« رئيس الكهنة — فرعون »

فرعون « يستقيم معتزًا ويقول غاضباً » — ليت هوامّ مصر تجتمع ، فلا تبقى على قطعة من لسانك

رئيس الكهنة « ببرود » — يا فرعون ، ان هوامّ مصر كثيرة ، ولساني قليل لا يكفيها . فلن يتحقق رجاؤك

فرعون — هذا ما أدّى اليه تسليمي وضعفي

رئيس الكهنة « متملّقاً » — أفرعون يا ابن آمون ، وصاحب المِصْرين ، وحبيب رع . . .

فرعون — كفى كفى . نحنُ وحدنا الآن ، ولا يخدعني تمليقك . وكفاني منك دهاء تخفيهِ تحت ستار الاحترام . خلْتَ بيني وبين اعدام ساتني وألقيت في روعي ما ألقيت ، حتى فرّ ساتني من أيدينا

رئيس الكهنة — وهل في ذلك ما يدعو الى كل هذا الغضب ؟

فرعون — لقد أذاع ساتني في القوم أن المعجزة لن تحدث

رئيس الكهنة — ستتم المعجزة

فرعون — ومَنْ يدري ؟

رئيس الكهنة — أنا أدري

فرعون — كيف ذلك وقد قال ساتني انهُ سيدخل الى المعبد ؟

رئيس الكهنة — يجوز

فرعون — وقال انهُ يعرف سرداباً سرّياً يحرّك منهُ أحد رجالكم رأس الصنم

رئيس الكهنة — ربما صدق

فرعون — وهو يكرّر أن المعجزة لن تتم ، وكأني بالقوم مصدّقيهِ . اذا صحّ ما يقول فما أصنع لأثير الحرب على الحبشة ، اذ كفر القوم بآلهتنا ؟

رئيس الكهنة — ولمَ تثير الحرب على الحبشة ؟

فرعون — اني في حاجة الى مالٍ وجوارٍ وعبيد . وسيكون لمعابدك نصيب من الغنائم .

رئيس الكهنة — لا أودّ اهراق الدماء

فرعون — الخزينة خالية ، والمقامع الآن لا تملأ الأكياس ، ولا تجبى الضرائب . فما حالنا غداً اذا ذهبت خشية الآلهة أيضاً من النفوس ؟ ومَنْ يطيعني اذا فقد القوم الإيمان بالرب الذي باسمه آمر وأنهي ؟

رئيس الكهنة — لن يحول ساتني دون اتمام المعجزة

فرعون — أنت لا تدري

رئيس الكهنة — بل أدري

فرعون — أمات اذن ساتني ؟

رئيس الكهنة — لم يمت

فرعون « مدركاً السرّ فجأة » — اذن أنت تخفيه

رئيس الكهنة — نعم

فرعون — علمتَ اني أود التخلص منهُ فاستخلصتهُ أنت لنفسك

رئيس الكهنة — نعم

فرعون — وما تفعل بهِ ؟

رئيس الكهنة — أفعل بهِ ما أريد لا ما تريد

فرعون — ولكن جريمتهُ جريمة ضد مصر

رئيس الكهنة — بل ضدي أنا وذلك أفظع ، فاطمئن

فرعون — اذن فلمَ تتردَّد في قتله كل هذا التردُّد ؟

رئيس الكهنة — ليعلم كلُّ ما جنتهُ يداه

فرعون — بل قل ان ساتنى من رجالك وانك تحميه

رئيس الكهنة — ليس من الحكمة أن أجعله شهيداً في عيون مُريديه ، ما دامت لنا عن ذلك مندوحة . وانك ان قتلتهُ لا تقضي الاَّ على نفس واحدة . أما أنا فأرجو القضاء على مذهبهِ ، ذلك خيرٌ لنا وأبقى

فرعون — وماذا تصنع بهِ هو ؟

رئيس الكهنة — أجعله كاهناً

فرعون — كاهناً !

رئيس الكهنة — نعم . فلقد كان في زمرة الكهنة قبل سفره ، وكان محبًّا للعلم وتقيًّا . فلما اغترب زاد علماً وفقد التقوى

فرعون — لقد كنتُ دائماً أقول ان الاغتراب مفسدٌ للنفوس

رئيس الكهنة — وأنا من رأيك لأن فيهِ كثرة اطلاع. ولكن أرجو أن أردَّ اساتنى الايمان بآلهتنا

فرعون — لن تصل الى ذلك

رئيس الكهنة — ان مَن يستنشق هواء معابدنا طويلا ، لا يستطيع أن يفرغ منهُ صدره . فاذا آمن ساتنى لبث بيننا آمناً ، واذا كفر خرج من بيننا الى يد الجلاَّد

فرعون — أسلم لي ساتنى

رئيس الكهنة — ليتني كنتُ أستطيع ، فلا أخالف لك أمراً . ولكنهُ كاهن كما أخبرتك ، فحياته مقدّسة . ولا أستطيع مخالفة الأوامر التي صدرتْ اليَّ من الآلهة

فرعون — ما هذه السخافات التي تنطق بها ، أتظنني أحد كهنتك ؟ لي الأمر وعليك الطاعة

رئيس الكهنة — وأنا ، أتظنني أحد جنودك ؟

فرعون — ولكني أريد

رئيس الكهنة — وربي لا يريد

فرعون — لا أعبأ بربك

رئيس الكهنة — حذار يا فرعون أن يسمعك شعبك

فرعون — أريد أن أكون السيّد الآمر المُطاع ، ومن الآن لا أرضخ لمثل ما كنت تذلني بهِ منذ حين

رئيس الكهنة — وبم أذللتك ، وقد عنَتْ لك وجوه الأكبرين ؟

فرعون — نعم ، ولكني ركعتُ لك بعد ذلك

رئيس الكهنة — انك لم تركع لي ولكن للإله الذي أمثّلهُ

فرعون — انما أركع له في وجهك ، وأقدم له صلواتي بين يديك

رئيس الكهنة « مبتسماً » — اطمئن فسأبلغهُ اياها !

فرعون — أتهزأ بي فوق ذلك ؟ لقد عيل صبري . آه ، لو استطعتُ لقتلتك أيها المنافق

رئيس الكهنة — يا لك من مغرور !

فرعون — انك ترتعد كأنك تخشى السيف أيها الجبان ؟

رئيس الكهنة — أنت لا تدري سوى القتل أيها السفاح

فرعون — كذبت

رئيس الكهنة — ومن ولاّك فرعوناً ؟

فرعون — حاذر أن ألقي بك يوماً الى الأسود فتنهش لحمك

رئيس الكهنة — بل حاذر أنت أن ألقي عن رأسك تاج مصر ، فأعلن للملأ أنّ روح الآلهة قد انسلّتْ منك « سكوت » هدىء روعك يا فرعون واتّحد ، فما لأحدنا غنى عن الآخر . انما نحكم الناس بما يخشونهُ من جبروتك ، وما نمنّيهم بهِ من النعيم . فاستمع لقولي ، ولتتحد . وان يوماً يزول فيهِ سلطان أحدنا بشّر فيهِ الثاني بزوال سلطانه . اني أراهم يشيرون لنا ظانين أننا نصلي طويلاً بحرقة وخشوع . وقد حانت الساعة التي تظهر فيها على شعبك ، فيحيّيك بالتهليل والتكبير ، ويدخل وراءك الى الهيكل ، فاستقبل شعبك . أما ساتني فدع أمره اليّ واطمئن ، فستتم المعجزة

(يدخل الموكب ويخرج بفرعون على نغمات الموسيقى « مارش » ثم يأتون بساتني أمام رئيس الكهنة)

الواقعة الثالثة

« رئيس الكهنة — ساتني »

رئيس الكهنة — أعرفتَ مَنْ أنا ؟

ساتني — نعم أنت الكاهن الأكبر

رئيس الكهنة « بلطف كثير » — وأنا أيضاً عرفتك . أنت ابن صانع الفخار . أنت الذي كنت صغيراً فربيناك ، وجاهلاً فعلّمناك ، ثم أدخلناك في زمرة الكهنة الصغار . ولما ظهرت نجابتك ، ووضح ذكاؤك ، أعددناك لرفيع المراتب ، وعالي المناصب . وقد كان لك من ودّي نصيب لا تنساه . ولا تنس أنك مدينٌ لنا بكل ما لك من العلم والجاه . ولقد كان في أعمالك يا ولدي ما

يستوجب سخطي وغضبي . ولكن حلَّ الأسف محلّ الغضب ، وحلَّ الحزن محلّ السخط « سكوت » أراك مأخوذاً

ساتني — كنت منتظراً وعيداً وعذاباً ، فما سمعت الاَّ عتاباً وقولاً مستطاباً

رئيس الكهنة — فليطب قلبك ، وانسَ من أنا . إنَّا في خلوة ، فلنتحادث كما يحادث رجل ولده ، وان شئت ، وقد رفعك العلم منازل ؛ فلنتحادث كما تتحادث الرجال . لقد أعلنت اللملأ أن المعجزة غير واقعة

ساتني — المعبودة من حجر ، وهل يتحرَّك الحجر . فلن تنحني رأسها الاَّ بواسطة من البشر

رئيس الكهنة — طبعاً

ساتني — أو تعترف بذلك ؟

رئيس الكهنة — أعترف لك أنت . وانما نخاطب الناس على قدر عقولهم . ولو كنت بقيت بيننا ، متتبعاً تعاليم كهونتنا ، مُترقياً في درجات نظاماتنا ، لرأيت اللاهوت يرتقي معك ، ورأيت الآلهة تتجرَّد من ماديتها كلما تعمقت في العلم . وما نقدم للعامة الاَّ آلهة يدركونها بالحس الذي لا يدركون بغيره أترى اذا ذكرتَ لهم إلهاً لا يرونهُ ، ولا يسمعون صوتهُ ، أيؤمنون بهِ ؟ أما ربنا نحن فغير أربابهم وما يعبدون . « انما إلهنا إله واحدٌ أحدٌ ، فردٌ صمدٌ ، قائمٌ بذاتهِ ، لا يشبههُ شيء ، وهو خالق كل شيء . لم يلد ولم يولد ، وهو أبو الآباء وأمّ الأمهات »[1] . وانَّا نستغفره كلما دعوناه ليظهر برهانه بتلك المعجزات . فان في الناس سذّجاً ، لا يصدقون بالمقدرة الاّ اذا ظهر أثرها . أما أنتَ فقد رفعك العلم عن مستوى مداركهم . لقد قلت لهم ان المعجزة

---

(١) هكذا جاء في كتاب الموتى أو طقوس الجنازات فصل ١٧ فقرة أولى . وهو من الكتب المقدسة عند قدماء المصريين

لا تتم ، وأوافقك على جواز عدم حدوثها ، ولكن أمتأكد أنت أنها لا تحدث ؟

ساتني — لقد قلت لهم انهُ لو تُرك التمثال وشأنهُ ، لَما تحرَّك منهُ عضو

رئيس الكهنة — ومن يصدّقك منهم ؟ بل قل انك كنتَ تريد أن تمنع بالقوَّة حدوث تلك المعجزة في نظرهم . لا تنكر . أما كان ذلك قصدك ؟

ساتني — ربما

رئيس الكهنة — وها أنا قد قبضتُ عليك ، فَحُلْتُ بينك وبين ما تريد . فلن يتحقق رجاؤك ، ولن يصدق زعمك . وبعد ساعة يُحتفل بعيد المعجزات ، وأنت هنا مسجون ، وتتم المعجزة بالرغم منك . أصدّقتَ الآن أنها واقعة ؟

ساتني « بعد سكوت » — نعم صدّقت

رئيس الكهنة — اذن ، طاش سهمك ، وخفق مسعاك ، وفقدتَ مكانتك لدى شيعتك . وما الكهنة الذين تحت أمرتي بأقوى منك ايماناً بأربابهم ، ولا أوثق يقيناً . على أنهم يُدانونك في العلم أو يزيدون . فأنا ناصح لك أن تنضم اليهم ، وتعود الى حظيرتنا

ساتني — لا أعود

رئيس الكهنة — ان إبائك ليحزنني يا ولدي . وتذكَّر ما اضطر بالرغم مني الى استعماله من القسوة معك . ساتني ، اربأ بي أن أدفع بك الى قضاة أقلّ حكمهم الموت . واربأ بنفسك أن تموت في شبابك ، والمستقبل أمامك باسم الثغر

ساتني — لا أخشى الموت

رئيس الكهنة — حتى ولو . . . تذكَّرْت . . . ألم تكن خطيب الفتاة يوما التي اصطفاها الإله لتكون قرباناً ؟ أنت تعلم أنها تنجو من التضحية ، اذا رُفِّتْ الى كاهن . وما أحسن آل رحيو الاحتفاظ بها ، فقد فرَّت من دارهم وأتت

الى المعبد . ورأيتُها فألفيتها حسناء رشيقة . فإذا تزوَّجتَ بها خلّصتها ، وأسعدتها وسعُدتَ بها

ساتني — يوما ، يوما ! « يبكي »

رئيس الكهنة « يضع يدهُ على كتفهِ » — ها أنت ترى من جهة موت يوما وموتك ، ومن أخرى حياتكما في عزّ وسعادة . فمالك صامت ؟ اني أخاطبك بلسان الإشفاق كما ترى ، وأزيد فأنصح اليك أن تترك للعامة آلهتها ، ذلك خير لها . وان أردت البرهان فابقَ بيننا . . . « يهم ساتني بالرد عليهِ » انتظر لا تجب قبل أن أتم حديثي . أنت تريد السعادة للبؤساء ، ألا فاعلم أن لا سعادة لهم في غير الدين . ولقد رأيت حالهم وقد خلا قلبهم من الإيمان . وفتنة الأمس ذهبت بروح أبيك . وقيل لي انهُ مات وهو يعاني أشد الآلام أصحيح ذلك ؟ أنا لا أعرف تفصيل الأمر ، وقد حضرتَ أنت وفاته ، فقصَّ عليَّ ما جرى

ساتني — آه ! أصاب ظني . انك تقصد تعذيبي . علمت أنك لا تنال مني بتقطيع جسمي ، فأردتَ أن تسحق قلبي

رئيس الكهنة — وهل أسمعتك غير الحقّ ؟ أمَا جُرح والدك في الفتنة التي أثارها ارتداد القوم اثر كلامك ؟ لقد عرفت أباك حيًّا . وكان رجلاً ساذجاً وتقيًّا . فمات ضحية أقوالك وأفعالك ، وعن قريب تلحق بهِ يوما كذلك

ساتني — صه ! كأني بك تريد أن يُضعف الأسى من قوَّة ارادتي

رئيس الكهنة — كلاّ . وسأطوي عن ذكر ذويك كشحاً . فإن ما أصابهم من النائبات ، لا يُعد بجانب ما يصيب الأمة المصرية منك شيئاً مذكوراً . إن أنت نزعت من قلب هذه الأمة ايمانه ، فأيّ وازع تقيمهُ فيهِ مقامه ؟

ساتني — ان ما تسمّيهِ ايماناً أُسميه خضوعاً أعمى وخنوعاً

رئيس الكهنة — سمعِ ما شئت . أفما علمت أن النفوس اذا خلت من خشية الآلهة انفكّتْ قيودها ، فلا يكبح شهواتها جماح ؟

ساتني — ما منعت خشية الآلهة من الجرائم ، بقدر ما ارتكبهُ القائلون بها لتأييدها في قلوب الناس

رئيس الكهنة — ليكن ، ولكنها واجبة

ساتني — وهل جعلتم لخشية الآلهة محلاً ، وأنتم تنتقمون من الناس ، ولا تدعون الآلهة حسابهم وعقابهم ؟ لمَ تعدّون المقامع ، وتقيمون المحارق ، وتتّخذون الجلادين لقطع الرقاب ، وتشغّلون المجرمين في المناجم تحت التّراب ؟ ألا ان الحقيقة انكم لا تعتقدون بحياة أخرى بها ثواب وعقاب . ولو اعتقدتم بها لأوسعتم الى الموت الخطى ، لتحظوا بدار نعيم وملك لا يفنى

رئيس الكهنة — أيّ كابحٍ في نظرك اذن للشّهوات ؟

ساتني — خشية الشرائع والطمع في رضاء الناس

رئيس الكهنة — أو تظن أنهما كبحا جماح الأمة بالأمس بعد تدمير آلهتها ؟ أترى القوم ردَّهم الطمع في رضاء الناس عن الطمع في أموالهم ونفوسهم ، اذ سرقوا ما سرقوا وقتلوا مَنْ قتلوا ؟ أم فعلوه طمعاً في رضائك أنت ؟ فهل أنت راض عما فعلوا ؟

ساتني — لا أدري ما أقول ، فإن حجتك قوية . نعم ان قوما رسفوا أجيالاً طويلة تحت نير الذلّ في قيود العبودية ، حتى انحطت مداركهم ، وماتت نفوسهم ، ليسكرون بخمرة الحرية اذا جاءتهم على غرة ، فيركبون متن الشطط ويأتون أفظع الجرائم . ولكن أتريد أن تقضي عليهم لأجل ذلك بالبقاء في تلك القيود ؟ أنظر الى الطفل الصغير وهو يتعلم الخطى على مُتكإٍ أما تراهُ اذا نُزع المتكأ من بين يديهِ سقط . فهل أنت قائل بوجود بقائهِ على هذا العماد حتى يموت ؟

رئيس الكهنة — وهل أنت قائل بوجوب نزع كل عماد « سكون » ألا ان الإيمان عماد القلوب . ففيهِ شفاء ، وفيهِ عزاء ، وزعزعته في القلوب من شرّ الأمور

ساتني — كم دالت أديان قبل دينكم ، فانفطرت لزوالها قلوب . فلو خشينا زعزعة الايمان ، لما وُجد جديد في الأديان

رئيس الكهنة — ان ديننا لا يزال جديداً بارغم من تقادم عهده . انظر الى قاعات معابدنا تجدها ملأى بألواح الشكر على ما استجيب فيها من الدعوات

ساتني — ولو كانت سُطّر الدعوات التي لم تُجب ، لما وسعت معابدكم ألواحها !

رئيس الكهنة — اذا خابت دعوة المصلّي مرة فقد آب مزوّداً بالآمال مراراً . فالأمل نعمة ، ومن الكرم منحها للبائسين

ساتني — انكم تمنّونهم بنعيم مقبل ، لتنسوهم أنكم في نعيم مقيم

رئيس الكهنة — وهل في طاقة مخلوق أن يمنح الناس جميعاً سعادة في هذه الحياة؟ انما نحن أكرم منك على كلّ حال ، فلا نبخل عليهم بالعزاء والآمال

ساتني — لكنهم يدفعون ثمنها غالياً

رئيس الكهنة — نعم ، وخزائن معابدنا طافحة بما يحصدون من الحنطة . ولكن كل الشعب الى نفسهِ ، يستنفد في أيام رخائهِ ، ما يجب أن يدّخر لأيام نحسهِ . فنحن انما نفكر فيهِ وندّخر له . وهو يأتينا بما يجمع فرحاً بتقديمه لآلهته . لقد أعلنّا للملأ أن النيل مقدّس ، وحرّمنا أن تُلقى فيهِ الأقذار . أفعلنا ذلك لأن النيل إله يُعبد ؟ كلاّ ، بل لنتّقي شرّ الأوبئة الفاتكة بنفوس العباد . وما ألّهنا من الحيوانات الاّ ما كان ذا نفع للناس حرصاً على بقاء نوعهِ . أرأيت أنك لم تحصّل من العلم الا قليلاً

ساتني — كأني بكم تخشون أن يبلغ الفلاّح رشدهُ ، فيناقشكم الحساب على ما كذبتموه ، ولا يرتد عنكم بخشية الآلهة ، من بنات آوى وحملان وثيران ، مما لا وجود لها كما أوهمتموه

رئيس الكهنة — أتظن أن لا وجود لها ؟

ساتني — نعم

رئيس الكهنة — أتدري أين أنت ؟

ساتني — أنا في المعبد

رئيس الكهنة — أنت في المعبد الذي نشأتَ فيهِ صغيراً ، ولم يُبح لك أن تتخطى نطاقه الأول المقدس . أما الآن فأنت في النطاق الثالث . انظر ، هذا هو قُدس الأقداس . بإشارةٍ مني ينزاح الحجر الساتر لهُ ، فتتجلى لناظريك المعبودة . ولم يستطع مخلوق غير رئيس الكهنة وفرعون — ان كان فرعون من زمرة الكهنة — أن ينظر الى صورتها من غير أن يُصعق ، الاّ في يوم عيد المعجزات ، الذي سنحتفل بهِ بعد قليل . أفتظن نفسك قادراً على البقاء في حضرتها ؟

ساتني — وما يمنعني ؟

رئيس الكهنة — سترى . فاذا أخذك الخوف فنادِ وخرَّ ساجداً . ولا أطلب منك بعدها الاّ أن تعيد على مَنْ أغويتهم ما ترى

(يشير رئيس الكهنة بيده فيحل الظلام محل النور)

ساتني — وي !

(يثب ساتني جازعاً ، ويعود نور ضئيل ببطء ، ويكون المعبد خالياً)

الواقعة الرابعة

« ساتني وحده »

ساتني — أنا وحدي ! . . « يتولاهُ الجزع فيعتمد واقفاً على أحد الأعمدة ووجههُ الى الجمهور » وحدي في المعبد ، وعن قريب تظهر المعبودة . أنا عارف أنها تمثال أصمّ . ولكن ما هذا الخوف الذي دبَّ في جسمي حتى بلغ عظامي ؟

« يصرخ » آه . لقد ظننت في الظلام شيئاً ، لكني أعلم أن لا شيء هنا . ما أجبن الإنسان ! ألأنهم ملأوا مخيلتي في الصغر بأقاصيص دينية ، وأفعموا قلبي رعباً من الآلهة . وأورثني أبي وجدي وأبؤهما من قبل ذلك الخوف ، أرتعد فرقاً أنا ، وتظلم عليّ بصيرتي ؛ أنا واثق بأن إلههم كاذب ، وانهُ طوع يد كاهنهم . ولكن ما بال هذه العمد الصامتة رهيبة ، كأنها محاطة بالأسرار وينبعث منها الى قلبي ذلك الرعب الشديد ؟ « ينزاح الحجر ببطء عن قدس الأقداس فيجهد ساتني نظره ليراه » أرى الحجر ينزاح عن قدس الأقداس ويلاه ! ما أشد اضطرابي وأعظم خوفي ! « يتمتم كلمات متقطعة ويمسح جبينه بظهر يده ويرتعد ويسقط على الأرض ويبكي ويبقى كذلك حيناً ثم يقول » ويلي ما أشد جبني ! « يعض يديه » خسئت أيها الجسم الضعيف لأقهرنك اني خجل من نفسي ، خجل من نفسي ! أريد ان أتقدم لأرى ، أريد ، ولكن في قدميّ قيوداً مما ألقوه في روعي صغيراً ، وما ورثتهُ عن آبائي . انما أحارب نفساً أشرباها الخوف صغيرة ، وأجيالاً عتيدة طوتها الأيام ، والآن تبعثها نفسي من مراقدها . فلأتشجع ، ولأجاهد ، ولأنتصر على الموتى . لي حياة ولي ارادة ، فأنا أنا ، فلأتشجع

(يجاهد نفسه حتى يملكها ويستقيم على قدميه بعد تردد ومجهود ثم يتقدم بجأش رابط وقدم ثابتة نحو المعبودة شاخصاً برأسه وضاماً ذراعيه الى صدره فيظهر له رئيس الكهنة ويضع يده على كتفه)

رئيس الكهنة — رأيت الخوف لم ينل منك ، فلننظر هل للرحمة سبيل الى قلبك . تعال « يسحب ستاراً يخفي السرداب الذي على اليسار » انظر ، هذه هي الرافعة التي يوكل أحد رجالنا بتحريكها فتتم المعجزة ، أي أن المعبودة تحيي هامتها ، فتطمئن القلوب . وها أنا مقيمك مقامهُ . وسآذن فتفتح الأبواب ، ويدخل الناس الى الهيكل ، فاستمع لهم . فاذا أثر في نفسك نداؤهم فحرّك

هذه الرافعة واحنِ لهم هامة المعبودة ، واكذب عليهم ذلك الكذب الذي يرجونهُ ليبعث في نفوسهم نور الأمل

ساتني — لن تحدث تلك المعجزة

رئيس الكهنة — انظر واسمع ثم نرى

(يخرج من السرداب . يعود الحجر الى مكانه . ويبقى ساتني واقفاً بحيث ينظره المتفرجون ويشير الرئيس فتقبل الكهنة)

الواقعة الخامسة

« رئيس الكهنة — ساتني في السرداب — الكهنة »

رئيس الكهنة — أأُعِدَّ كل شيء ؟

كاهن — كل شيء مُعَدّ

رئيس الكهنة « لكاهن آخر » — اسمع . « يكلمهُ سرًّا فينحني الكاهن ويخرج وبينما يدخل جمهور المصلّين يُرى ذلك الكاهن وقد دخل الى السرداب من الداخل يساراً وبيده خنجر فيقف وراء ساتني ، وساتنى لا يشعر بهِ » فليدخل الناس « ويشير بيده فينصرف الكهنة »

الواقعة السادسة

« الشعب (يدخل قوم بؤساء الى المعبد من كل منفذ مندفعين يتزاحمون بالاكتاف ويدخل أربعة رجال يحملون محفة عليها فتاة جميلة مقعدة ذات ثياب ثمينة)
ميريس — يوما — جميع الممثلين »

الفتاة المقعدة — أدنوني من المعبودة ، ضعوني بجانبها علّها تطرد الروح الخبيثة التي قيَّدَت قدميَّ عن المسير

(يتزاحم بجانبها عرج يمشون متكئين على عصيهم ، وقوم أيديهم أو أرجلهم ملفوفة بقماش أبيض)

فتاة عمياء « تقول لقائدها » — اذا زُحزح الحجر فتأمل في المعبودة لتصف لي شكلها لأتصوّره اذا لم تمنّ عليّ بالبصر لأراها

(يتقدم مقعد يسير على يديه)

المقعد — أريد أن أكون على مقربة منها ، أدنوني من مكانها ، وعن قريب أمشي

(يتقدم غلامان يقودان أمهما وبها مسّ من الجنون وهما يحاولان تهدئة ثائرها ، وأم تحمل ولداً على ذراعها وتلتمس أن يدعوها تقترب من مكان المعبودة . ورجل رأسه ملفوف في غلالة لا يظهر منها الا عيناه وفمه وهو يزاحم من بجانبه بالاكتاف وعمي ومقعدون محمولون على المقاعد)

امرأة — ستتكلم المعبودة وستجيب الدعاء وتتعهد بحماية مصر وبنيها

أخرى — لا أظن ، ويقولون ان مصائب عظمى تتهددنا

أخرى — واذا كانت لا تتكلم

أخرى — ألا تسكتون ؟

(موسيقى دينية . يدخل رئيس الكهنة فيجلس على عرشه ويحيّو الشعب)

الواقعة السابعة

« الشعب - رئيس الكهنة — رحيو »

رئيس الكهنة — كبرت قدرة آمون !

(سكون)

الشعب — كبرت قدرة آمون !

رئيس الكهنة — سيفتح باب الهيكل

أصوات — سينزاح الحجر . . . أنا خائف . . . سنرى المعبودة . . . اسكتوا . . صه . . .

(يرفع رئيس الكهنة ذراعيه الى السماء)

كاهن « يخاطب في السرداب بصوت منخفض الرجال الموكلين بأمر الحبال » — هيا
(يشد الرجال الحبال فيتزحزح الحجر وتنكشف المعبودة للمصلين . ولكن لا يراها
المتفرجون فيسجد المصلون ومن لا يستطيع السجود يخفي وجهه بذراعه)

رئيس الكهنة — هبوا ، وانظروا وادعوا « يُسمع رعيد الخوف في الشعب . ويغمى
على نساء من الخشية فيحملوهنّ » أيتها المعبودة ان خلقك يسجدون لك
صاغرين

الجميع — إيّاك نعبد يا ايزيس !

رئيس الكهنة — فامنحينا هذا العام أيضاً نعمتك الكبرى ، وأحني هامتك اشارة
الى أنك تحمين مصر سنة أخرى

الجميع « بصوت منخفض » — ايزيس اياكِ نعبد !

رئيس الكهنة — رحمةً أيتها المعبودة بالبؤساء . نظرةً يا ايزيس الى الفقراء . أظهري
فضلك ، أحني رأسك . الرحمة الرحمة ! حلّت بنا بلايا كثيرة ، وأحاطت
بنا أرواح شريرة

الشعب — حلت بنا بلايا كثيرة ، فاطردي عنا الأرواح الشريرة

رئيس الكهنة — نوت يا أمّ العالمين ، اصرفي عنا الشياطين . يا نوت العذراء ، أجيبي
النداء ! ايزيس يا روح مصر الخصيبة ، لبي الدعاء . أحني رأسك . ساتي
يا ملكة السماء ، أحني رأسك

الأم — حلّتْ روح بعض الأموات في ولدي يا ايزيس ، وها هو محتضر ،
فأقدمهُ لك يا ايزيس . انظري الى جماله ، وارأفي بحالي وحاله . انظري الى
شبابهِ . وابقي عليهِ يا ايزيس ، ابقي عليهِ لأمه يا ايزيس

الجميع — الرحمة الرحمة !

رئيس الكهنة — أشيري الينا يا ايزيس أنك سميعة النداء ، مجيبة الدعاء . فأحني
رأسكِ !

الفتاة العمياء — ردّي اليّ البصر ، فقد سلبنيه الشيطان قبل أن أولد . واسمحي لي أن أرى السماء وصفاءها . والشمس وضياءها ، اني شقية يا ايزيس ، ولي حبيب يهواني وأهواه ، فأود أن أراه . ما أشد تعاستي يا ايزيس !

الجميع — ايزيس الرحمة !

رئيس الكهنة — أنتِ يا روح الوجود ، وحياة كل موجود ، ارحمي عبيدك الخاشعين فقد مثلوا في حضرتك طائعين ، ولا تتخلي عن أولادك البائسين

الجميع — نعم نعم ، لا تتخلي عن أولادك البائسين !

ولد — لأبي الأعمى أدعوك يا ايزيس !

الجميع — ايزيس حاميحور الرحمة !

رئيس الكهنة — تِمِيّ يا ربّة العدل ومرآة الحق ، أحني رأسك

الفتى المقعد — لقد نحرتُ لكِ يا ايزيس عشرة حملان ، فارفعي القيد من قدميّ علّهما تسيران

الرجل الملفوف الرأس — ينهش لحم وجهي شيطان رجيم ، فخلصيني من عذابه الأليم

المقعد — اني أدبّ على الأرض كأحقر الدود ، فاشفيني يا ايزيس لأستقيم على قدميّ كالعود

ولدا المجنونة — انظري الى أمنا يا ايزيس قد تولاّها الجنون ، فما عادت تعرفك ولا تعرف أبناءها . انظري كيف تضحك

أم الصغير — أنتِ أمٌّ يا ايزيس ، فبحق ولدك أبقي على ولدي . لا تدعيني أذهب من حضرتك خالية اليدين من ولدي المحبوب . أنتِ أمٌّ يا ايزيس

رئيس الكهنة — صلّوا ، ابتهلوا ، تضرّعوا ، خرّوا على وجوهكم ساجدين . نعم نعم ، أيضاً أيضاً ، اسمعوا ؛ انها ستجيب نداءكم « سكوت طويل » صلاتكم ليست حارّة . وتضرّعاتكم لا حرقة فيها . توسّلوا ، اصرخوا ، اذرفوا الدموع

الجميع — ايزيس ردّي عنا الأذى ، ايزيس أجيبي النداء

رئيس الكهنة — اجهروا بصلاتكم ، ارفعوا صوتكم

الشعب — آلامنا كثيرة ، دموعنا غزيرة ، زفراتنا محرقة . فارحمينا يا ايزيس

رئيس الكهنة — صيحوا أيضاً ، صيحوا أيضاً حتى الموت

الشعب — أتتخلين عن مصر يا ايزيس ؟ يا ويلنا ، ان تركتنا فمَنْ لنا . وأيّ مصاب يحلّ بنا ؟ أغيثينا ، أجيرينا ، الرحمة الرحمة !

رئيس الكهنة — الرحمة الرحمة ! « تتصاعد زفراته » ما أشقى هذا الشعب يا ايزيس اذا تخليتِ عنهُ !

أصوات «تُسمع بين زفرات المصلين» — انها لا تسمع نداءنا ، فلن تجيب دعاءنا . فويلٌ لنا ، ثم ويل لنا !

رئيس الكهنة — خابت آمالنا ، فقدنا الرجاء

الجميع — فقدنا الرجاء !

صوت صائحين — لقد أخنت رأسها . . . كلا . . . بلى

(سكون تسمع من خلاله تأوهات أسى ويأس)

رئيس الكهنة — يا أم المعبودات ، يا حامية مصر !

أم الصغير — ايزيس ، يا أم حوريس . ولدك الصغير إله حيّ . فهل تدعين ولدي الصغير يموت ؟ انظري اليهِ ، انظري اليهِ

المقعد الصغير — أما في قلبك رحمة يا ايزيس ؟

المقعد — ما شئتِ يكون يا ايزيس ، فكّي قيودي

الرجل الملفوف الرأس — اشفيني من بلائي يا ايزيس ، حتى لا ينفر القوم مني . اشفيني من بلائي

رئيس الكهنة — أجيبينا ، أحني رأسك

الجميع — الرحمة !

(يتلوى الجميع من اليأس ويصرخون ويتنحبون ويدعون)

ساتني « يظهر عليه التألم الشديد لحالة القوم فيحرك الرافعة قائلاً » — ما أشقاكم يا قوم وما أتعسكم ! حقاً انكم جديرون بالرحمة

(عند حدوث المعجزة أي احناء المعبودة رأسها للعصاين — ولا يرى ذلك المتفرجون — يعلو هتاف الشعب وتهليله ويأخذ قوم ممن كانوا يمشون على عصي عصيهم فيلعبون بها في الهواء راقصين ويستولي على الجميع الفرح فينشدون ما يأتي الا من لم تجب دعواتهم فيلبثون في أماكنهم يتنحبون على ما فاتهم ويزداد بهم اليأس والقنوط)

الشعب « نشيد » — ايزيس قد نلنا * من فضلك العفوا

فلتصفحي عنـا * ولتهدنا الصفوا

بالنيـل تحينـا * تحيي لنـا القطرا

لا زلت تولينـا * من فيضه الخيرا

الفصل الخامس

« نفس منظر المعبد الذي في الفصل السابق »

الواقعة الأولى

« رحيو — ساتني — رئيس الكهنة — الكهنة — ثم الشعب — سوكتي — نوم — بتيو — كريبا — ثم ميريس ويوما »

عند رفع الستار يكون القوم ساجدين بوجوههم على الارض والكهنة قائمون للصلاة ينشدون

الكهنة « نشيد » — مجد ايزيس علاه ✲ يغفر الذنب العظيما
فليكن آمون برًّا ✲ برعاياهُ رحيمـا

هب لنا آمون عفواً ✲ عن جميع الخاطئينـا
واجعل الأيام صفواً ✲ للجنـاة التائبينـا

رحيو « الى رئيس الكهنة » — ها قد سجد أمامك بأمر فرعون الثائرون نادمين

رئيس الكهنة « الى الشعب » — حطمتم تماثيل آلهتكم وحقرتموها ، ولكن وسعت رحمتها كلّ شيء ، فطأطأت ايزيس هامتهـا رضاءً عنكم . وها قد أقبلتم نادمين ، وأتيتم تائبين ، واستنكرتم ما أتيتم من الكبائر ، وجئتم للعقاب مستقبلين . ولكن آلهتكم تقبّلت توبتكم ، وكشفت عنكم غمتكم ، وسمحت لكم بتقديم القربان للنيل . وأذنت أن يُفيض عليكم هذا العام أيضاً خيرهُ العميم . فأين التي اصطفاها ربكم لفداء مصر . ألم تحضر ؟

يوما « تهب قائمة مشرقة الوجه » — ها أناذا

رئيس الكهنة — ألبسوها الحلة المقدسة وخذوها في موكبها الى دار المجد ونعيم الخلد

يوما — هيا

(تهب بعض النساء وتخرج مع يوما يساراً)

رئيس الكهنة — لقد ولجتَ الهيكل في هذا الصباح ، عند بزوغ أنوار آمون رع المقدسة من العالم السفلي ، فاستقبلتَ وجه إلهنا ، وسمعتَ ما ألقاهُ عليَّ من الوحي . وها أنا معيد عليكم ما أمرني به ربي . . . يا رحيو « يهبّ رحيو واقفاً » لقد ذهبت الى فرعون نور رع وسناهُ ، فاعتذرتَ نادماً على ما فعلت ، ورجوتَ منهُ الصفح عما أتيت ، وأقسمتَ بحثة أبيك أن تخلص لهُ الخدمة ، ودفعتَ لنا بتلك الجثة رهينة على البرّ بيمينك . ثم كشفتَ لنا عمن تآمروا على خلع رب مصر عن عرشه ، لينال منهم غضبه وعدله . وأعلنتَ للملأ أنك لم تدَع قومك يحطمون تماثيل آلهتك ، الاَّ مأخوذاً بما دبّرهُ لك ساتني من السحر ، فساب بهِ عقلك . وقد منحك مولاك العفو كرماً منهُ وفضلاً ، وما كنت لتنالهُ لولا ما أوتي فرعون من الحلم والرحمة . عفا عنك ولكن بشروط ستعلمها بعد حين « يطأطىء رحيو رأسه ويجثو » . ساتني « يهب ساتني مطرقاً يخيل لناظره أن الخجل والألم قد نالا منهُ » ساتني . لقد اعترفتَ بقدرة الآلهة التي اجترأتَ على انكارها ، وها أنت مُعلن للملأ ايمانك بها ، بسجودك لها بعد كفرك بها . ولقد لُقّنتَ في هذا الهيكل أسرار علومك الأولى ، فأصبحتْ حياتك مقدسة لا سبيل اليها ، فارحل عن مصر قبل أن تغرب شمس يومك ، واغرب عن وجه الآلهة « يبتعد ساتني مطرقاً ويفسح لهُ القوم السبيل ليمرّ وتُسمع دمدمة بين الحاضرين تحقيراً لهُ وتُمدُّ له قبضات الأيدي مهدّدة وبعضهم يدفعهُ بيدهِ حتى يصل الى آخر المرسح يميناً فيختبىء مخفياً وجههُ بيديهِ » وقد نطق آمون بغير ذلك « يترك القوم ساتني فيقف ساتني ويرتمي على أحد الأعمدة باكياً خفية » لقد قال انكم جميعاً أيها الحاضرون في هذا المكان تستحقون الموت ، وهذا قضاؤهُ

الجميع — آمون الرحمة ! الرحمة يا آمون !

رئيس الكهنة — لا نداء ولا دعاء ، ولا يجديكم النحيب والبكاء . ألا فاسمعوا ما يقوله لكم ربكم بفمي

الجميع — كن رحيماً أنت بنا . أشفق علينا . استغفر لنا ربك . استرحمهُ . تتوسل اليك . لا نريد الموت ، لا نريد الموت ، لا نريد الموت

رئيس الكهنة — اني مشفق عليكم ورحيم بكم . ولكن اثمكم عظيم . أفكَّرتم في فظاعة جرمكم ؟ ما عهدت الأيام قوماً فعلوا فعلكم . آلهتكم ! تحطمون آلهتكم ؟ وأي آلهة ؟ آمون وتوميريس ! ليتني كنت قادراً على تسكين غضبهما ! ولكن ماذا تريدون أن أقدمهُ قرباناً لهما ، مما يناسب فظاعة تمثيلكم بهما ؟

الشعب — خذ ما تريد . خذ كل ما لدينا ، ولكن أبق على حياتنا

رئيس الكهنة — كل ما لديكم ؟ ان ما لديكم قليل

الشعب — خذ ما تنبتهُ الأرض

رئيس الكهنة — ومن يطعمكم ؟ أنتم تدفعون عُشر ما تحصدون . فلأقدمنَّ لآلهتكم ربع حصيدكم عشر سنين . . . ولكنهُ قليل ! . . . فإن زدتهُ نصف ما تملكون في دياركم أترضى آلهتكم ؟ . . . أم أنتم راضون ؟

الشعب — نعم راضون ، نعم راضون

رئيس الكهنة — لا أراه مكفراً عما فعلتم أيها المجرمون . فاصبروا عسى ينطق ربي بلساني ، أو عسى ربي أن يهدين « يطرق قليلا » أقيموا الصلاة أناء الليل وأطراف النهار ، واسجدوا مع الساجدين . وقدموا لمعبدنا عشراً من عذاراكم كل عام لخدمة الدين

الشعب — لك عذاراتنا يا آمون ، لك بناتنا

رئيس الكهنة — ربكم رحيم ، ربكم رحيم . واني سامع صوته مؤذناً بالعفو عنكم ،

فاهبطوا ساجدين « يسجد القوم » ثم اسمعوا ما يأمركم به ربكم : أطيعوا فرعون وكونوا له مخلصين . فهو ظل آمون في أرضه ومنفذ أحكامه في العالمين . ولقد شاء ربكم أن ينتقم فرعون من ملك الحبشة لخروجه عن طاعته ، وكفرانه بنعمته . فليتأهب منكم للقتال كلّ قادر عليه ، وليلحق بصفوف الجيش فقد تأهّب الجيش للرحيل اليه

الشعب « يتململ » — أوه : أتحارب ؟ أتحارب ؟

رئيس الكهنة — لقد شمخت الحبشة بأنفها ، واستعدّت لغزو مصر بجيشها . أفلا تدافعون عن أوطانكم ، وتذودون عن حمى بلادكم ؟ ألا تردّون الذئاب عن قطعانكم ، وتصدون العدوّ عن دياركم ، وتحمون أعراض نسائكم ؟ أتريدون أن تصبحوا عبيداً للعبيد . وترسفوا غداً في أغلال وقيود ؟

الشعب — لا لا . لا نريد . لا نريد

رئيس الكهنة — فشدوا اذن الرحال لتأديب أعداء ملوككم

الشعب — سنقاتلهم ، سنقاتلهم

رئيس الكهنة — وسيأتيكم النصر من ربكم . ألا تعلمون أنهُ ان ينصركم فلا غالب لكم . ولا تحسبُن الذين قُتلوا منكم في سبيله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يُرزقون . وما أنتم الاَّ منتقلين من الأرض الى السماء لو كنتم تعلمون . فجاهدوا في سبيل ربكم ، لتحظوا لدى أوزيريس بدار عليين . انما اطمئنوا فلن يموت منكم أحد ، وستطيش سهام أعدائكم ، فتتساقط لدى أقدامكم ، سقوط الطير رماه الصيَّاد نبالاً . وستفل سيوفهم فلا تنال من أجسادكم منالاً . وأن يرسلوا النار عليكم ضراماً . ستكون نيرانهم عليكم برداً وسلاماً . ولقد علمتم أن آلهتكم لا تنطق عن الهوى ، وأنها تحمي مصر وأهلها ، وأنها ذات قوَّة دونها كل القوى . وقد شهدتم بالأمس تمثال ايزيس قد طأطأ لكم هامته الصمَّا

الشعب — الى الخرب : الى الخرب !

ساتني « يهبّ من مكانهِ » — لقد طالجبني . . . وما وُطِّئَتْ ايزيس رأسها ، الاَّ لما أرخيتُ لها حبلها

(هياج واضطراب)

رئيس الكهنة — دونكم هذا الرجل فافعلوا بهِ ما شئتم . ودونك أنت هذا الشعب افتنهُ مرَّةً أخرى ان استطعت

(سخط من الشعب . يقف ساتني واجماً لا يستطيع الكلام ويخرج رئيس الكهنة محمولاً على عرشه ومعه رحيو)

الواقعة الثانية

« ساتني — الشعب »

ساتني — كنتُ في الهيكل

الشعب — كذبت

ساتني — أنا الذي حركتُ الرافعة فانحنى رأس الصنم

الشعب — يا للكفر ! كفى كفى يا فاجر . كفى يا فاسق

ساتني — أنا فاجر ؟ ليتني كنت رضيت ، فكان لكم في موت بعضكم حياة . ولا بدَّ لكلّ اصلاح من تضحية . ولكني أشفقت عليكم من الألم ، وحُلت دون سفك الدم . وفاتني أن الطفل لا يولد للحياة الاَّ بدم وألم . فهذا جزاء رحمتي لكم ، واشفاقي بكم

(هياج وسخط)

الشعب — اقتلوه اقتلوه . انهُ يريد قتل أطفالنا

ساتني — الموت في سبيل الحق مجد وحياة !

الشعب — اقتلوا الخائن ، اقتلوا الفاجر

ساتني — والبقاء على ذل الخنوع موت في الحياة !

الشعب — كفى ، اقتلوه !

(يفتح باب في أقصى المعبد يساراً ويظهر منه موكب يوما تتقدمه وتتبعه الموسيقى والراقصات ووراءهن في المقدمة الكهنة بالمباخر والصواجّ وتتبعهم يوما محمولة على الايدي في محفة ويحيط بها العذارى وهي محلاة بالثياب المقدسة وواقفة على قدميها مشرفة الوجه تسحرها سعادة ما هي فيه)

الواقعة الثالثة

« موكب يوما — ساتني — الشعب »

الشعب — موكب يوما . يوما المصطفاة . يوما عروس آمون . المجد لفادية مصر !

(يتقدم الموكب الى يمين المرسح ليخرج من باب المعبد الى النيل وسط تهليل الشعب)

ساتني — يوما ، يوما ، كلمة يا يوما ، نظرةَ اليَّ ، ودّعيني يا يوما ، أنا ساتني ، ألا تسمعينني ؟ ألا تنظرين اليَّ يا يوما ؟

(يغطي صوته تهليل الشعب وتكون يوما منصرفة الى ما هي فيه فتمر بدون أن تسمع صوت ساتني ويتبع الشعب موكبها)

الواقعة الرابعة

« ساتني — ميريس — دليتي — بتيو متخلفاً عن القوم ويده خنجر »

ميريس « الى دليتي وهي تقودها » — خذيني الى ساتني . ابتعدي « الى ساتني » يا ساتني ، كنتُ بين القوم وسمعتُ ما تقول ، فأثّرَ في نفسي . ولم تسمع نداءك يوما لانصرافها الى ما هي فيهِ . كلٌّ منا يشعر يا ساتني بميل الى تضحية نفسهِ في سبيل مَنْ يحبهُ أو يقدّسهُ . فإن لم تكن المعبودات ففي سبيل مَنْ تكون التضحية ؟

ساتني — في سبيل البؤساء

ميريس — في سبيل البؤساء :

(يقترب بتيو في هذه الاثناء من ساتني ويطعنه بين كتفيه بالخنجر)

بتيو — انظري . ها هو أيضاً يسقط كما سقطت الآلهة

ساتني « مطروحاً على الأرض » — أأنتَ قاتلي يا بتيو ؟ « ينظر اليهِ بتحديق » وا أسفاه عليك ! وا أسفاه عليك !

(يموت . ينظر بتيو طويلاً الى الخنجر ثم يلقيه مستنكراً ويقترب من ساتني فيجثو على مقربة من جثته ويبكي)

دليتي « الى ميريس » — هيا بنا نصلي يا مولاتي فقد خلا المعبد

ميريس — لا . لا أصلي لآلهة باسمهم يقتلون الناس ! . . .

(يسمع من بعيد صوت تهليل الشعب ونغمات الموسيقى التي تصحب موكب يوما الى النيل)

« ستار الختام »

وفاء الوفا

بأخبار دار المصطفى

صلى الله عليه وسلم

تأليف

شيخ الاسلام السيد علي نور الدين السمهودي

من علماء المدينة في القرن الحادي عشر للهجرة

وهو سفر جامع ما يتعلق بالمدينة المنورة من الأخبار والآثار الجغرافية والتاريخية والدينية واللغوية والأدبية في الجاهلية والاسلام

وهو مجلدان مذيَّل ثانيهما بفهرس مرتب على حروف الهجاء عن أسماء الأعلام الواردة بالكتاب . وهو من أنفس ما يقتنى من الذخائر العلمية

ثمن النسخة المجلدة ٣٠ ﷼ وغير المجلدة ٢٥ ﷼

ويطلب من مكتبة المعارف والهلال والتأليف والمؤيد بمصر القاهرة